الموقع

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1729)السنة السابعة -الاحد (21) شباط 2010

متن

لقد شكلت **القنوات الفضائية العراقية** بمجملها منظومة إنتاج كبيرة كان من شأنها أن دفعت بالعملية الانتاجية الى التواصل والاستمرار، وحرّكت عجلة الإنتاج بقوة بعد ان كانت تعاني من ركود وسبات ايام النظام السابق بحكم ارتباطها بجهة إنتاج رسمية واحدة هي دائرة الاذاعة والتلفزيون التابعة لوزارة الإعلام،

اعلن في الموقع

احتفالية في لندن

(أصابع بابلية) في تاريخ العالم بـ ١٠٠ قطعة أثري

لندن/ خاص بالمدى

تحت عنوان تاريخ العالم في مئة قطعة أثرية وبالاشتراك مع عشرة متاحف من دول العالم يقيم المتحف البريطاني احتفالية ضخمة يتخللها عدد من الفعاليات الموسيقية و الشعرية والمسرحية، و سيكون العراق حاضراً من خلال أثاره النادرة التي استعيرت لهذا الغرض والأخرى الموجودة أصلا في المتحف البريطاني، كما ستقام أمسية بعنوان " أصابع بابلية" للموسيقار احمد مختار على العود المنفرد في قلب القاعة السومرية المجاور للقاعة الأشورية الكبيرة حيث سيقدم مجموعة من مؤلفاته التي استوحيت من حضارات العراق القديمة و منها مقطوعة "أصابع بابلية " و"جنائن معلقة" " و"طور المحمداوي" بأداء جديد ، حيث يعُتقد إن هذا الطور الذي يؤدى في أهوار العراق اليوم هو امتداد للغناء السومري. و مما يذكر إن هذه الدعوة الثالثة لمختار للعرض في المتحف البريطاني وسبق إن اختير مشرفاً موسيقياً على احتفالية معرض بابل الذي استمر عاماً كاملاً. يسبق أمسية مختار عرض للممثل و الشاعر البريطاني كاري وليلز حيث يقدم قراءات ممسرحه من ملحمة كلكامش باللغة الانجليزية، و وليلز من المتأثرين بالحضارات القديمة حيث تخصص و درس اللغات الأشورية والآرامية القديمة وقد أدى دور انكيدو في أضخم عمل مسرحي بريطاني في منتصف الثمانينات. إما بارتون سكالبجر فسيقود جوقة كورال الغناء الإغريقي حيث يقدم إعمالاً غنائية متخيلة من غناء وادي الرافدين و وادي النيل. من المتوقع إن يصل عدد الحضور يوم الافتتاح إلى أكثر من ٥٠٠ شخص حيث نفدت البطاقات المحدودة بسبب حجم القاعة الممتلئ بالقطع الأثرية الكبيرة، و قد انتشرت إعلانات المعرض والأمسية في مترو لندن وفي الساحات الكبيرة و ألاماكن العامة. ولكي يقدم أفضل صورة عن تاريخ العالم استعار المتحف البريطاني بعض القطع الأثرية من متاحف أخرى مثل اللوفر و برلين و نيويورك.

الثقافة هي التي تصوغ سلوك الإنسان

احتفى ملتقى الخميس الإبداعي في اتحاد الأدباء وعلى قاعة الجواهري بالإعلامي والناشط السياسي محمد عبد الجبار الشبوط، وأدار الجلسة الناقد علي حسن الفواز قائلاً: اليوم نضيف واحدا من الذين يسعون الى ظاهرة الأستاذ المفكر والإعلامي محمد عبد الجبار الشبوط،واحد من الذين برزوا بشكل مميز خلال السبع سنوات الماضية،

المزيد

هل بإمكاننا أن نتعدى حافة المدارات؟

ليس من الهين علينا كفنانين تشكيليين عراقيين وعرب الدخول في منافسة الآخر (الأوروبي) المؤسس لذائقة مفصلة على مقاس ارث متحرك ولا يزال ينأى عن الثبات، ونترك كل عاداتنا ومقولاتنا عن الإرث الأثري الذي نفصله على مقاسات باتت عاجزة حتى عن مراجعة مخلفاته بما يناسب ولو جزئيا منطقة الحراك الثقافي المعاصر.

المزيد

القصة والرواية بين عصا موسى .. والحداثة

حين تبعد غير المبدعين عن ساحة الوهم التي يعيشون فيها الى الواقع الذي يفتقر إلى وجودهم، فقد أسهمت في حماية القصص.
على افتراض خطير، إن فن القصة سينقرض، أقول إن انقراض هذا اللون الجميل من الفنون الصعبة والمؤثرة في ثقافة الإنسان وتكوينه الفكري..

المزيد

مكتبة

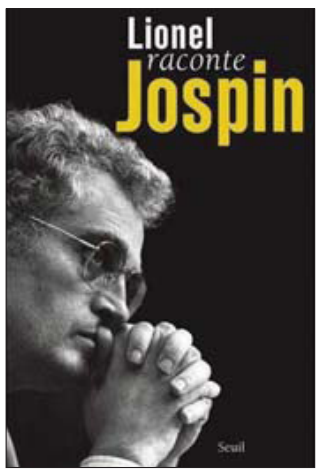

ليونيل جوسبان بقلمه

«ليونيل جوسبان بقلمه» هو كتاب حوارات مع الصحافيين بيير فافييه وباتريك روتمان. ويعود فيه رئيس وزراء فرنسا الأسبق إلى الحديث عن مساره السياسي الذي وضع حدا نهائيا له في شهر أبريل من عام ٢٠٠٢.

صوت في الموقع

هل تؤيد قيام الدولة بترميم دور السينما والمسارح في عموم البلاد ؟

- نعم
- لا

غاليري العراق

مازن احمد

في مركز الحوار الثقافي (تنوير)

لم نتخط عتبة التاريخ الوسيط

محمود النمر

أقام مركز الحوار الثقافي – تنوير- على قاعة مركز الدراسات الستراتجية في جريدة الصباح ندوة حوارية بعنوان (من المثقف وماذا يريد؟) وأدار الجلسة الشاعر كريم شغيدل الذي أشار الى أهمية تفعيل الحوار عن دور المثقف وماذا يريد مركز حوار في احتضان نشاطاته التي ستتواصل باتجاه الحوار الثقافي ومعالجة مشكلات الثقافة العراقية ومشكلات المثقف وفتح الحوار واسعاً مع كل الفئات، واليوم نلتقي لأعلى أساس التعريف المدرسي بالمثقف والثقافة وهناك أمور قد شغلت الثقافة العالمية والأدبيات العالمية ربما منذ القرن الخامس عشر وصولا الى مرحلة – غرامشي – الذي حدد تعريفات، ممكن ان تكون الأكثر تداولا ثم كتيب صغير -لاليوت- بعنوان نحو تعريف للثقافة، والى غاية ١٩٥٥ أصدرت منظمة اليونسكو قراراً اميا بصحة تداول قرار الثقافة، وفي أدبياتنا العربية لم تدخل كلمة ثقافة بمفهومها الحالي، وحتى ادخلها الأديب المصري المعروف –سلامة موسى – في مجلة الهلال المصرية وصارت متداولة منذ ذلك الحين، وكانت الحساسية واضحة مابين فرنسا وألمانيا حول كلمة ثقافة او حضارة وكان الفرنسيون يفضلون كلمة حضارة بدلا من ثقافة لان الثقافة لدى الألمان اقترنت بالنازية.

وتحدث الشاعر عبد الزهرة زكي رئيس تحرير جريدة الصباح عن أهمية هذا المحور الذي يعالج الاشكالية التي مازالت قائمة مابين المثقف والسياسي.

الصباح من جانبها كمؤسسة إعلامية، تسعى أيضاً الى تفعيل الجانب الثقافي فيها تؤكد استعدادها المستمر والدائم لاحتضان نشاطات ثقافية سواء في مركز حوار أم لأي مركز آخر يلتقي مع الأفق الديمقراطي الحر الذي من شأنه ان يعزز ثقافة الحوار وثقافة الاختلاف، وثقافة التنوع في المجتمع العراقي وبما يسهم باغناء الحياة السياسية والديمقراطية في البلد باتجاه قيم الاختلاف وقيم التنوع وقيم قبول الآخر والقدرة على ان نتحاور وان نختلف.

وأضاف في حديثه على حث المثقف قائلاً: في أوقات كثيرة كنا نتحدث كمثقفين وكمواطنين في جانب معين عن تهميش دور المثقفين، ومثل هذا التهميش فيه جوانب كثيرة سواء في الحياة السياسية أم في الحياة الاجتماعية، ينبغي ان يسبق بسؤال: ماذا يريد المثقف، ولماذا يهمش؟ وهذا السؤال مشروع أول من المثقف؟ ولابد نصل الى قاعدة تفاهم من المثقفون؟ لكن اعتقد ان مثل هذا الشق من التساؤل استغرق كثيرا من الوقت وكثيرا من الجهد ليس في ثقافتنا، لكن اعتقد ان استمرار الانشغال بهذا الجانب أيضاً يضيع الكثير من الجهود ويبدد الكثير من الطاقات وبالتالي لا نصل الى شيء، المهم ان نركز عملنا عن ماذا نريد؟ ينبغي أن نتفاهم كمثقفين، ماذا يريد هذا الوسط الثقافي؟ وما مشكلاته؟ وبالتالي يحدد جدوى المهمات وجدوى الاعمال؟ اعتقد أنها لا تكون على صيغة مطالب تطلب من الآخرين ان يوفروها لهم.

وأشار الشاعر زعيم النصار الى أهمية هذا اللقاء الذي يحتضن المثقفين الذين يرفدون – المركز- بآرائهم وهو الهدف الذي نسعى اليه فلولاكم لم يكن لمركز الحوار الثقافي العراقي (تنوير) هذا الحضور، شكرا لجريدة الصباح بمركزها للدراسات الستراتجية لتعاونهما معنا.

يبدأ مركزنا استنارته الأولى أو يطرح مثقفوه سؤالهم الأول، فهم من أولئك الذين يطرحون الأسئلة الآن وحتى النهاية، وهم بإمكانهم ان يعيدوا سؤال التنوير الذي يؤكدون به إمكانية ان تتوالد الأجوبة لتحرر ما خطفه الموت: الإله، الإنسان، المؤلف.

مثقف مركزنا كمن يبحث عن رجل يساعده على استلاب أفكاره، وآخر يبحث عن رجل ليقدم له المساعدة، من هنا يتولد حوار مثمر، على حد قول نيتشه.

مركزنا يسأل عن حال (المثقف) العراقي الآن، لا حال (الثقافة)، فـ(الثقافة) تعبير شامل لحقول عدة، ووظائف عدّة (في صدارتها الوظائف الجمالية)، وكيفيات عدة (الأفراد، المؤسسات،...)، أما المثقف فيُعرَّف من خلال وظائف محدَّدة، المثقف هو وظيفة أساسا.

وهو، كحقل ومفهوم ووظيفة، منقول عن الثقافة الغربية الحديثة، التي ظهر فيها (المثقف)، (الوضعي) بالتعريف، بديلا عن الكهنوت.

(المثقف)، من ماركس إلى إدوارد سعيد، هو مثقف النقد، لنضع خطّاً تحت كلمة النقد، لأنها تشمل طيفا واسعا من المعاني، تبدأ من الثورة والتغيير الراديكالي، ولا تنتهي بنقد عواطف المجتمع السائدة.

بالتالي، يكون تأسيس حيز لـ (المثقف) في ثقافتنا ملابسة من ملابسات الثقافة، حالها حال نقل نظم العمارة، أو مفاهيم حقوق الإنسان، أو وسائل الإعلام، أو النظم السياسية، أو...

هل اكتشف المثقفُ العراقي يوما ما وظيفتَه؟

لقد كانت أول صيغة من (المثقف) عرفتها الثقافة العراقية هي صيغة (المثقف الحزبي)، الذي نشأ مع (وفي ظل) التجربة الحزبية في العراق

وقال الشاعر زاهر الجيزاني:

نستخلص تعريفا عمليا -المثقف هو منتج الثقافة الذي ينصب عليه اهتمامنا اليوم وهو المعني في مطالباتنا ان يكون له دور ملحوظ في المشاركة لبناء الدولة جنبا الى جنب مع السياسي والخبير القانوني والاقتصادي والمهني لكن ما الموقع الذي يحتله هذا المثقف في الإطار العام للدولة؟ وما صورته القانونية وكيف تم التعامل معه مؤسساتيا؟ بمعنى أوضح ما علاقة الحكومة به –سواء كان منتجا محايدا ام منخرطا في المشروع الحكومي أم مواجها له؟ ما الصورة التي يحملها السياسي عن المثقف المنتج دائما؟ هي صورة عدم الاعتراف به مشاركاً وعضواً فعالاً منذ مؤسسة العشيرة ومؤسسة الخلافة ثم مؤسسة الحكومة وهي صورة سائدة في العصر الجاهلي او الصورة الثابتة في عصر ما قبل المدنية فالمثقف مختص ومنتج ولكن من دون امتيازات وديمومة حياته لم تقم على بند قانوني يكفله انما قامت على المصادفات (إعانات، مكافآت، منح) وبقيت حياته مهددة على نحو مريع وحفظت لنا الوقائع القريبة نهايات لأدباء وفنانين وكتاب دامية ومخزية واما الذين نجوا من هذه النهايات انخرطوا في أحزاب او قبلوا ان يكونوا لسان هذه السلطة أو تلك وهي ذات الوظيفة الجاهلية للشاعر.

وقرأ الشاعر كريم شغيدل رسالة من الشاعر خزعل الماجدي يقول فيها:

في العراق بشكل خاص، لم نتخط أولاً عتبه التاريخ الوسيط و لذلك بقي مثقفنا لصيقاً برجل السلطة أو رجل الدين ولم يقف قبالته، ثم أننا لم ننتج فئة الانتلجستيا ولم تكن هناك نهضة حقيقة ولا تنوير حقيقي، بل كان هناك استقلال شكلي سرعان ما هيمنت عليه سلطات شمولية او إقطاعية تنهل من قيعان الدين ثباتها المركزي و قوتها التدميرية.

لم يكن هناك مشروع ثقافي حقيقي , ولم تكن هناك إرادة شاملة كبرى للمثقفين لانتزاع البلاد من ظلام التاريخ الوسيط الى أنوار التاريخ الحديث ثم التاريخ المعاصر.

وقرأ الشاعر ماجد موجد ورقة الباحث حيدر سعيد..

كان مثقفنا خائفا و مترددا وتابعاً للسياسي ولرجل السلطة ورجل الدين ورجل القبيلة ولم يمتلك الإرادة الحرة إلا فيما ندر.

كان مثقفنا يعاني من فهم سياسي قاصر للأحزاب التي تقاتلت على السلطة منذ عقود فلم يبصِّر الناس بحقيقة منهج العنف والشمول الذي يستبطن أديولوجيا الأنماط الثلاثة للراديكالية السياسية في الأحزاب الأصولية (الماركسية والقومية والإسلامية) ومازال يجرب مثل الآخرين عقاقير الشفاء في المشاريع الأممية والقومية والدينية من دون أن يدري أنها مشاريع شمولية لا تنتج سوى العنف والتخلف والخراب.

اتحاد أدباء وكتاب ميسان يحتفي بشاعر القرى عيسى حسن الياسري

ميسان/ رعد الرسام

بحضور جمع من المثقفين نظم اتحاد أدباء وكتاب ميسان أمسية احتفائية للشاعر المغترب المبدع عيسى حسن الياسري الأمسية التي أدارها الشاعر حامد حسن الياسري أستهلت بكلمة لرئيس اتحاد أدباء ميسان جمال الهاشمي أشار فيها الى ان أدباء ومثقفي المحافظة إذ يحتفون بالشاعر المبدع عيسى حسن الياسري فأنهم يحتفون بقامة شعرية كبيرة قالت (لا) كبيرة ضد الفاشية والطغيان، وإذا كان الياسري قد غادر الوطن مهاجرا فأنه حمل الوطن بين جنبات صدره القروي الطيب.

بعد ذلك تحدث القاص سلام نوري عن تواصله مع الشاعر المغترب عبر الرسائل الالكترونية موضحاً: "تلقيت من الياسري رسالة في العام الماضي يعبر فيها عن شعوره بألم الغربة، وقد بعثت له في حينها رسالة أذكر منها: يا سيدي لا كندا ولا مونتريال ولا ذهب العالم كله يعادل دمعتك، أيعجز الوطن أن يقدم لك الدواء ام الخبز؟ عد يا طائر الحب، فانا أعرفك قويا كسيدك أنكيدو".

فيما عبر الشاعر ضاري الغضبان عن احتفائه بالياسري بقصيدة عمودية، ثم تناول الشاعر نصير الشيخ تجربة الشاعر عيسى حسن الياسري عبر قراءة نقدية لمجموعة الشاعر الموسومة (صمت الأكواخ) وقد استهل الشيخ قراءته التي جاءت تحت عنوان (إشكالية الذات في صمت الأكواخ) بـ"جنوبي غادر عنوة مدن الفرح كما رسمتها قصائده إلى سماوات المنافي، ارتحل كطير عاشق يتلظى بحب مدينته، رحل وعاد وكأني بأطياف نهر – أبو بشوت – تغازل مخيلته وتذيب جليد المنفى الكندي، ها هو بيننا الآن خاشعا في محراب الشعر الذي أعطاه عمراً كاملاً وقطف من بساتينه ألماً كبيراً ومحبة الناس والأصدقاء"، بعد ذلك طرح الشيخ رؤيته النقدية لشاعرية الياسري في (صمت الأكواخ) وقد خلص فيها الى أن لغة الشاعر كانت مكتفية بذاتها لتؤثث المشهد الحياتي، مضيفاً "نلاحظ تصاعد وتائر الاندماج الحسي بين الشاعر ومفردات الطبيعة حد اكتساء وقائعه المعاشة بهذا المناخ المشبع بالحنين لما فيه من/ خضرة وماء/ فهما يشكلان رموزين عميقين متجذرين في سفر تاريخ هذه الأرض لذا فالشاعر يزيح دوما عن بصيرته ورؤاه رماد الواقع وغبار المعلن منتجا لنا معادلا موضوعيا في الآن نفسه، معادل موضوعي يغترف من تفجر ينابيع الإحساس البدائي، حاضنته جغرافيا الشاعر/ الجنوب العراقي/ الذي شكل يوتوبيا لشاعر مثل الياسري الذي شيد بناءاتها ونصب أبراجها الحلمية لينام قرير العين عند عتبة أكواخها":

بعدها تحدث الشاعر المحتفى به عن ذكريات حياته في مدينة العمارة وعلاقاته الأدبية والاجتماعية مع مثقفيها وشخصياتها الاجتماعية وأختتم بالقول: "رأيت مدنا كثيرة.. وأقسم أن هذه الأمسية تعادل عندي كل الحياة التي عشتها.. لأنني أعود الآن ذلك الطفل الذي يركض بقدميه الحافيتين ودشداشته الممزقة الأذيال المتسخة بطين السواقي.. فيا لعمق محبتكم يا أهلي وأحبتي وهي تذيب جبال الجليد الكندي عن صدري"، ثم قرأ الشاعر بعضا من قصائده الأخيرة.

الشبوط في اتحاد الأدباء

الثقافة هي التي تصوغ سلوك الإنسان

موقع ورق

احتفى ملتقى الخميس الإبداعي في اتحاد الأدباء وعلى قاعة الجواهري بالإعلامي والناشط السياسي محمد عبد الجبار الشبوط، وأدار الجلسة الناقد علي حسن الفواز قائلاً: اليوم نضيف واحدا من الذين يسعون الى ظاهرة الأستاذ المفكر والإعلامي محمد عبد الجبار الشبوط، واحد من الذين برزوا بشكل مميز خلال السبع سنوات الماضية، ليس باعتباره جزء إنتاج الظاهرة السياسية الجديدة، لكنه هو صورة حية للتحول العميق الذي نفرح ان يكون فاعلا في الحياة العراقية واعتقد ان تبوءه لمسؤوليات إعلامية وفكرية خلال هذه السنوات السبع أكدت على انه صانع متميز للظاهرة الجديدة.

وتحدث المحتفى به عن التاريخ السياسي العراقي ومحاولة فك الاشتباك المعرفي مابين المفهومين السياسي والديني وانشغال المثقف والمفكر او المتعلم - على سبيل النجاة - كما يقول الإمام علي (عليه السلام)، انشغاله دائما لما ينبغي ان يكون على عكس انشغال السياسي الذي يكون او يتركز على ما هو كائن ومابين الأمرين مسافة كبيرة لا يملؤها الا ما ينتجه المثقف والمفكر من تصورات تكتسب قيمتها فقط من خلال ما يمكنها ان تغطيه من مساحات مستقبلية وما يمكن ان تثيره من فعل حاضر لبلوغ ذلك المستقبل، انا كنت دائما اعتقد ان المثقف عندما يكتسب هذه الصفة ويكون جديرا بحمل هذا الاسم حينما تتجسد فيه شخصيته وفي عقله ثلاث خصائص، ان ينطلق دائما من العقل النقدي للظواهر والأشياء والأفكار، وان لا يتقبل أمور التسليم الأولي وان يمتلك القدرة من المحسوس الى المجرد وان يكتشف العلاقات الكامنة وراء الأشياء وأخيراً يمتلك القدرة في توليد أفكار جديدة تغطي كما قلت جزءاً من مساحة المستقبل دائما باعتقاد ان المستقبل هو المحرك الحقيقي لحركة الإنسان، الإنسان الذي لا يمتلك رؤية لجزء على الأقل لا يكون قادراً على التحرك في الحاضر، من خلال هذه الرؤية لما افهمه من كلمة مثقف، كنت أصول وأجول وأتنقل داخل مثلث بين زواياه الثلاث الفكر والإعلام والسياسة، كنت تراني مرة سياسيا وأخرى كاتبا ومرة إعلامياً، لكنها في كل الحالات كنت داخل مثلث واحد يتألف من هذه الزوايا الثلاث، بعض الناس كان ينظر الي من زاوية الكاتب او المثقف او المفكر كالسيد محمد حسين فضل اللّه الذي دعاني ذات يوم الى التفرغ الى الكتابة حيث قال لي: اكتب حيث يقلد الكاتبون وأحياناً تستهويني او تستدعيني السياسة كما فعلت هذه الأيام وأدركت نفسي واسمي ضمن قائمة المرشحين في الانتخابات المقبلة وعلى الدوام كنت إعلامياً لانها كانت ومازالت مورد رزقي الوحيد.

ثم أضاف: على الثقافة والوعي اللذين ينهلان في المعرفة وعدم تغييب الآخر والمهم في هذا انني كنت أتطلع ومازلت الى ان يدعم المثقفون دوراً مهما ومركزياً في الحياة الاجتماعية والسياسية وفي انجاز التحولات الكبرى، هذا الإحساس في نفسي كان مبعثه ما ندركه جميعا ان التحولات الكبرى في التاريخ كانت من صنع المثقفين والمفكرين والكتّاب والفنانين، ولو تبحث في الثورة الانكليزية الأولى والثورة الفرنسية والثورة الأمريكية والثورة الروسية، لم يكن قادة هذه الثورات الا مفكرين وكتّاباً، ومن خلال كونهم مثقفين امتلكوا رؤية للمستقبل وتحركوا عليها، وحركوا الجماهير باتجاهها.. أنا افهم الثقافة هي التي تصوغ سلوك الإنسان، وهي التي ممكن ان تقود المجتمع الى مشكلة وممكن ان تحل مشكلة ذلك المجتمع فهي في آن واحد مشكلة وفي آن واحد حل، بناءً على طبيعة المقولات الثقافية التي تؤثر على سلوك الإنسان، من هذا المنطلق يمكن ان أقول ان المثقف بحكم التعريف هو ذلك الإنسان الذي يلعب دوراً أساسياً في رسم صيرورات مجتمعه وفي بناء الأنماط السلوكية.

وقال الناقد فاضل ثامر: أنا اعتقد ان التيار الذي يمثله الأستاذ محمد عبد الجبار الشبوط هو تيار يعول عليه كثيراً يحاول ان يزحزح الأفكار من ثوابت تقليدية ضد المشروع الديمقراطي الى الإيمان بالمشروع الديمقراطي مثل الأستاذ الدكتور عبد الجبار الرفاعي والأستاذ ضياء الشكرجي والأستاذ غالب الشابندر والأستاذ حسين العادلي ومجموعة أخرى لا تحضرني في الوقت الحاضر أسهمت في الحقيقة باختراق المنطقة الصعبة جداً.

الكتاب الذي قرأته في جلسة أدباء البصرة الثقافية

البصرة / جاسم العايف

عقدت جلسة اتحاد أدباء البصرة الثقافية الأسبوعية بخصوص (كتاب قرأته وأحببته وتأثرت به)، أدار الجلسة القاص رمزي حسن مؤكداً إن اختيار مثل هذا العنوان دافعاً لمشاركة اكبر عدد من الأدباء والكتاب في جلسات قادمة.

وأضاف: يهمنا في هذا الجانب أن نعرف ما الذي يثيره هذا الكتاب؟ ولماذا يتأثر به ويحبه مَنْ قرأه؟ وهذا المحور الذي ربما سيستمر جلسات ثقافية قادمة نود أن نعرف العوامل والفواعل التي تقف خلف ذلك وكيفية التأثر ومدى الاستجابة؟ وقال القاص حسن: من المؤكد ان ثمة كتبا كثيرة أحببناها وتأثرنا بها عميقا ولعلها غيرت مجرى حياتنا.

وأوضح: ولكن من بين هذه الكتب جميعاً ربما هناك كتاب أحببناه، أكثر من غيره وتأثرنا به، وكان له السطوة علينا وغير من نمط أفكارنا وساهم من دون غيره بتنمية عقولنا، واحدث تغييراً وربما انقلابا في نمط تفكيرنا، ونظرتنا إلى الحياة. وأضاف: يتساءل البعض هل يمكن ان يكون هناك كتاب له مثل هذا التأثير؟ فأقول: نعم.. فقد تأثر بكتاب (دون كيشوت) عدد كبير من الكتاب والفلاسفة ورجال العلم والسياسة أيضاً، لقد تأثر به "جان جاك روسو وهيجل وكانت"، و كان هذا الكتاب محبذاً لدى "ماركس" وافرد له فصلاً كاملاً في كتابه عن "الايدولوجية الألمانية"، ويذكر بعض المؤرخين ان "نابليون" تأثر بهذا الكتاب جداً، كما تأثر به وأحبه العالم "اينشتاين" وقال: ثلاثة أشياء غيرت مجرى حياتي هي كتاب "دون كيشوت" والنجوم والكواكب المحلقة في السماء البعيدة عني، وكتاب "الجريمة والعقاب" لدستوفسكي.

وتحدث القاص محمد سهيل قائلاً: انه ربما سأتحدث عن كتب عدة تأثرت بها وفي مقدمتها ما كتبه جرجي زيدان في سلسة من الكتب عنوانها (تاريخ الإسلام) ورواياته التاريخية التي أثرت على ضمير القارئ العربي، ومزجت بين التاريخ والدراما، وحرص فيها زيدان على التشويق في كتابته التاريخية، وانه كما قال الروائي شاكر الانباري "برع في الكشف عن دور النساء في الأحداث الغامضة في التاريخ العربي والإسلامي".

أما الشاعر علي الإمارة فقال: سأتحدث عن كتاب جديد قرأته حديثا وهو مجموعة الشاعر "هيثم عيسى" المعنونة "خزانة الحجر" وفضيلة هذه المجموعة الشعرية الصادرة عن دار أزمنة في عمان، كونها حولت الحجر الذي هو جماد إلى نص يُقرأ ويستمتع به، وذلك كون الحجر مرافقاً للإنسان منذ الولادة حتى نهايته عندما يثوى داخل حفرة عميقة تسد عليه بالأحجار، وجعل الشاعر من ذلك في قصائده وعبر اشتغالات لغوية بصفتها معنى، مستفيداً من جدلية المضاف والمضاف إليه نحوياً مركزاً على بؤرة دلالية هي "الحجر" وعمل عليها الشاعر هيثم ساحباً السرد إلى الشعرية، من خلال عنونة قصائده ومتونها.

وتحدث الشاعر واثق غازي عن كتاب هرمان هسه "سد هارت" وتجليه له كما ذكر غازي عما قرأه أخيراً في كتاب للباحث "يوسف اسكندر" عن "اتجاهات الشعرية" فقال انه قد غّير الكثير من المفاهيم والقناعات لديه، أما القاص سعيد حاشوش فذكر ان كتاب "الوضع البشري" لاندريه مارلو احدث انقلاباً في حياته، وقاده هذا الكتاب للعمل في العهد السابق، الى محاولة تشكيل فصيل مسلح من الشباب في منطقة الزبير، ومن ثم الى السجن.

أما الروائي ضياء الجبيلي فذكر ان كتاب "المسخ" لكافكا هيمن عليه في فترة زمنية من حياته حتى كاد يتلبسه تماماً، وقد أبدى بعض الحاضرين ملاحظاتهم بشأن ما قدم من قراءات منهم الشاعر كاظم الحجاج والشاعر احمد جاسم محمد مؤكدين ان بعض المتحدثين لم يلتزم بالمحور المعلن.

وختم الأستاذ القاص محمود عبد الوهاب الجلسة بالحديث عن هذا الجانب مؤكدا على أهمية مثل هذا النوع من الجلسات وقال: في مثل هذا المحور ينبغي ان تكون نظرية التلقي، هي القاعدة بخصائصها ومحوريها الاستجابة الذاتية والقراءة النقدية، وعلى المتلقي المنتج للنص، ان يعرض استجابته، لا على صعيد الانطباع فقط ومن المهم ان يتأسس انطباعه الذاتي على قراءة نقدية للمقروء، موظفاً مستودعه في قراءة جماليات الكتاب بكليته أو ببعض وحداته.

الحوار المتمدن
العدد (1729)السنة السابعة -الاحد (21) شباط 2010

زهدي الداوودي في "فردوس قرية الأشباح".. الحياة والأمل في مواجهة الخراب والموت

جمال كريم

تحيل رواية الكاتب زهدي الداوودي "فردوس قرية الأشباح" من إصدارات دار ئاراس للطباعة والنشر ٢٠٠٧، بدءًا من العنوان، العتبة والمدخل فعمارة المتن السردي الى متسعات مكانية متصلة، وسير حيواتية انقطعت صلتها ككيانات اجتماعية بالمكان والحياة والمعاني، هذا الانقطاع لم يكن بفعل ذاتي او محض إرادة تلك الذوات او بقوى الطبيعة، بل جاء بقوى قسرية خارجية وحشية، اقتلعت كل الأشياء بهمجية الفعل، وعماء النار، وفجاجة الرماد، لكن جذر الموجودات بقي مشدوداً للحياة والأمل والانبثاق، هكذا يأخذ المتن السردي وملحقاته المتلقي الى عوالم الموت والحزن و الفجيعة والفراغ، مقابل المقاومة والوجود والحياة والأمل، وإذا اتفقنا ان العنوان "يشكل خطابا أو نصا مستقلا في حد ذاته، فهو نواة معنوية أساسية، وكل ما تلاه من ملفوظ فهو عبارة عن شرح وتوضيح له، وهكذا فالعنوان الذي يوجد في أعلى الصفحة هو أساس كل خطاب روائي، عليه يبنى النص أو المشهد أو الفصل أو القسم أو المقطع الروائي عبر التحوير والشرح والتمطيط والإسهاب في المعنى وتفصيله حتى يمكن لنا القول: إن الرواية تتلخص غالبا في العنوان؛ لأنه المركز وما عداه محيط.

أما العلاقة بينهما فهي علاقة جدلية تتمثل في تفاعل النص مع العنوان عبر الانسجام والتغريض الدلالي أو تخييب أفق انتظار القارئ"١، فان عنوان الرواية يمكن ان نقف عنده للقول ان كلمة الفردوس كما تذهب أكثر المعاجم العربية تعني البستان، وهي مفردة رومية معربة، ويرى اللغويون انها مذكر، اما ورودها في القرآن بدلالة المؤنث "هم فيها خالدون"، لان المعنى هنا كما يذهبون، هو الجنة.

اما القرية التي تدور على مساحات فضاءاتها الأحداث ويتحرك بين أطلالها وبيوتاتها المهجورة شخوص الرواية، فهي مكان وسميت قرية لاجتماع الناس فيها،بطبيعة الحال سيكون الأول –أي الفردوس- مكاناً تخيلياً يقابله الثاني –أي القرية –الذي سيكون على مساحة الرواية ومقاطعها السردية مكاناً واقعياً،وسيقابل هذين المكانين بمفارقتهما، مخلوقات تخيلية تمثلها "الأشباح" التي هي كما تذهب المعاجم، ما بدا لك شخصنة من الناس وغيرهم، ويقابلها كيانات اجتماعية إنسانية حقيقية، تمثلها الشخصيات المسرود عنها من قبل راوٍ، ظل يهندس عمارته السردية منْ خزين ملتقطاته الواقعية، ومبتكراته المخيالية، وبإمكاننا ان نقول ان عنوان الرواية "فردوس قرية الأشباح" سيكون عند الداوودي القرية الكردية المهجورة والمغيب ناسها في مجاهل معتقلات السلطة النائية والمجهولة، كما يعني ناسها المهجرين، لكن ذاكرة القرية كمكان يقوم بدور البؤرة في حركة الشخوص على مساحة الوحدات السردية، والإشارة الى مصائرهم، مصائر من يسكنه جعله يتصدر دور البطولة الفعلية في الرواية، ويمكن لنا ان نحمل هذه القرية بما يدور عليها من أحداث، وما يتحرك على مساحتها من شخصيات، ترميزاً لما عانت الأمكنة الكردستانية الأخرى في العراق عبر عقود متصلة من السنوات، بمعنى أدق ان ظهور الأشباح في الرواية يشير الى علامة مركبة، فهي شخصيات بادية أمام الرائي لكنها غير واقعية، وهي ترمز في الوقت نفسه الى تلك الشخصيات الغائبة، وهذا الغياب بدوره يرمز الى القوى المغيبة-بتشديد الياء وكسرها-، المتمثلة بالسلطة السياسية القامعة.

ويعمد السارد /الراوي، قبل الشروع بمتن مرويات مقاطعه السردية التسعة عشر، الى توظيف عتبة ثانية هي عبارة عن مقطع نثري، هذه العتبة تلخص بكثافة دلالية حجم الكارثة التي تعرض لها الكرد وهم يواجهون مصائرهم الوجودية، جراء جرائم ما سُمي بـ "الأنفال":

بلا وداع

بلا قبر/ بلا سورة يس/ بلا صلاة الميت/ بلا ذنب/ شيعتكم آيات الانفال/ أرواحاً هائمة/ مثل فراشات ملونة/ الى غياهب السماء...

بقي ان أقول ان المتن السردي للنص يمكن تحديده بفضاء زمني، محدد هو ربيع كارثة عام ١٩٨٨، وحيز مكاني محوري هو قرية كردية محددة، لكنه- أي المكان- ينفتح على حيزات مكانية أخرى تدور في فلكه وبين تضاريسه اذ تتحرك شخوص الرواية، هذا المكان /القرية، وأمكنة/ قرى أخرى/ تتعرض الى هجمات وحشية ينفذها النظام السياسي السابق بآلته العسكرية الهمجية، عبر سلسلة من التهجيرات القسرية، والمحارق التي طالت الطبيعة والإنسان والموجودات والمعاني والأشياء، ويمكن تقسيم الشخصيات

الرئيسة في الرواية الى:

أولاً: الشيخ رمضان + الزوجة ريحانة

ثانياً: الفتى كامة + الفتاة شيرين

ثالثاً: السيد العربي + زوجته

رابعاً: شخصيات القرية المعتقلون والمغيبون

خامساً: الشبان الخمسة

سادساً: الحاج رشيد

سابعاً: خضر آغا

ثامناً: مفوض الشرطة

بطبيعة الحال هناك شخصيات ثانوية ترد الإشارة اليها خلال ثنايا المقاطع السردية والحوارية في المتن السردي، وسنشير الى بعضها بحسب أهميتها على الصعيدين الوظيفي والدلالي .ومنذ مفتتح المقطع السردي الأول يضع الداووي المتلقي في المركز التبئيري للأحداث والشخصيات باتجاه منطلق الصراعات بين مثل وقيم الحرية والحب والسلام والجمال والأمن والشجاعة والبناء من جهة، وبين قيم الكراهية والقهر والاستعباد من خلال هدم الذات الإنسانية الجمعية بكل ما تعنيه الكلمة من معانٍ من جهة أخرى، ويمثل هذا الاتجاه بالدرجة الأساس السلطة السياسية الحاكمة في البلاد سنينئذ وأدواتها التنفيذية البشرية والمادية، المتمثلة بآلة القتل والقمع والتدمير والتخريب.

ان الداوودي يضع متلقيه بعد عتبة العنوان مباشرة في قلب الحدث، بل في منطقة الكارثة التي تحل في القرية "

لا يدري كيف جرت الأمور، ولكن الذي يعرفه انها بدأت مع الفجر، حيث كان الظلام يخيم على كل شيء، أصوات عالية، قرقعة أسلحة، بكاء،دفع وركلات،طلقات نارية تشق السكون،أضواء كاشفة،خيل اليه أنها تسقط من السماء،صياح بلغة لم يفهمها وهدير محركات أنواع المكائن"ص٩، بهذه الوحدة السردية المكثفة تنطلق الرواية باتجاه الأحداث، والأمكنة، والشخصيات، والاختفاءات الجماعية، لا بظروف غامضة، وانما بأساليب قمعوية مكشوفة ومعلومة، تمارسها المؤسسة العسكرية والأمنية للسلطة مع الكرد الذين يعيشون في قراهم الآمنة، باعتبارهم كيانات اجتماعية إنسانية من حقها العيش بحرية وكرامة في أمكنة تمثل تأريخهم، ووجودهم، وموروثاتهم الفكرية، والثقافية، والفولكلورية، هي أمكنة ولدوا وعاشوا بين فضاءاتها ومسامات مساحاتها منذ آلاف السنين.

ان شخصية (كامة)، فضلاً عن استباحة القرية الكردية وتغييب ناسها قسرا تحت جنح الليل،تشكل فاتحة سردية مهمة وفارقة لمتن الرواية، أو هي-كما أرى- مفتتح يفضي الى مرجعيات المتن السردي الخارجية برمتها فيما بعد،قرية جبلية، وبيوت، أسر وشخصيات وحياة وآمالٍ وأمان وأحلام، قرى أخرى، وتعدد في الشخصيات والنوايا والأهداف والأحداث والصراعات. إن كل تلك المنظومات الاجتماعية الإنسانية وأنسجتها التلاحمية فيما بينها والمكان، تنسف خلال ساعات وجيزة، ليشيع التمزق، والخراب، والحرائق والرماد،"انه في الظلام يرى ما يحدث في دائرة الضوء، جنود مدججون بأسلحة مختلفة يمسكون أخواته، إخوانه، والدته وأباه ويرمونهم بقوة في شاحنة واقفة أمام بوابة بيتهم،ويجري ذلك بالضرب بالأيدي والركلات واخماص البنادق، وثمة دبابة تدب في الأرض مثل حيوان أسطوري يخترق الجدار المبني من لبن الطين محولة غرفة سكن العائلة الى أرض منبسطة.

انهم يريدون أن يأخذوا أهله الى مكان ما، ولكن الى أين؟ ولماذا؟ لا يدري"، ص ٩، هنا، يصبح السؤالان الأخيران والبحث عن المصائر المجهولة ومعنى الغياب في هذا المقتطف السردي، الهاجس الملازم، لكل من الشيخ رمضان والزوجة ريحانة وكامة وشيرين والشبان الخمسة، على مدى مقاطع السرد في الرواية،اذ يوظف السارد ضمائر الغائبين (هو، هي، هما، هم)، فضلاً عن المقاطع الحوارية بين شخصيات الرواية المشار اليها.

وتكشف رواية "فردوس قرية الأشباح"،من خلال الأحداث المسرودة، والشخصيات المسرود عنها، في فضاءي الزمان والمكان المتخيلين على صعيد المتن –لا على الصعيد الواقعي الخارجي لهما- كما استحضرتهما الذاكرة السردية للراوي، عن لحظات اليقظة الصادمة للفتى (كامة) الذي لم يبلغ الرابعة عشرة من عمره وهو يجد نفسه وحيداً في مواجهة الدمار والخراب والذعر،قبل ان يتعرف عليه الشيخ "رمضان" وزوجته "ريحانة" بين أركان أنقاض القرية التي باتت مغمورة بالوحشة ودخان الحرائق، ان الشيخ الذي نجا من صناع الموت في تلك الليلة الهمجية بامر من احد الضباط، سيصبح فيما بعد ذاكرة لأحداث متصلة مرت على المكان، وشاهداً عليها، بتعبير أدق، هو ذاكرة حية ومتيقظة، وقادرة على توصيف الأحداث والشخصيات بصرياً، لما لها من وقع، بسبب هولها وفظاعتها عليه شخصياً وعلى مجايليه، والأجيال الكردية اللاحقة."

يتبع

منال الشيخ

كتابة الجسد.. فداحة اللغة

علي حسن الفواز

تكتب الشاعرة منال الشيخ ما يعصف بعوالمها السرية من هواجس حارة وفائرة، تجاهر بها، وترتطم بما تتركه بين يديها من جموحات، تلك التي تتفلت منها نزقة، متوهجة تملك استعدادا للتحول الى نداء داخلي، او عواء يمكن ان يستنفر ما في الروح من خواء او عزلة، او ربما يستغرقها بنوع من الشغف والتشهي العالق بما يتبدى من شفراته المفتوحة والغائمة، تلك التي توسم الجسد والمكان و اللذة، وكأن هذا الاستنفار هو الذي حرّض لغتها الشعرية على استحضار هذه الرغائب، والاحتدامات الساخنة من التخيّل، الذي يشبه السحر، اذ يضعها أمام الكثير من الغواية، والكثير من العفوية.

وهذا التناوش مابين الشاعرة ولغتها يسحبها الى مساحات أخرى من التمرد والنزق في البوح، او ربما الى اصطناع صور مكثفة تضيق فيها الاستعارة، وتتسع فيها التفاصيل للكثير من السرد الشعري، الذي يجسّ ما هو خبئ في الذات الانثوية المعزولة المنشطرة والباحثة عن اشباعات، تدفعها نحو تقصّي ما هو جامح وساخن في الذات.

الشاعرة تحتفي بالعالم من خلال احتفائها بالجسد، الاحتفاء غير المهادن، المشغول بالعزلة والتنكر والمزيد من التشهي المباح، والمزيد من التفاصيل التي تكشف عن قدرة الشاعرة في ان تضع نصها بمثابة الاعتراف الفاضح إزاء ما يحوطها من ظلال عالية للعزلة، وصور تحتشد بكل ما يدفعها للإفراط بارتكاب لعبة القبض على الجسد لغويا.

هذه اللعبة تدفعها أيضاً الى الإيهام بملاحقة المعنى عبر الاستطراد الوصفي الحسي، وعبر كتابة ما يمكن ان تستعيد به اللذة الغائبة، لذة الإشباع المجهض المسحوب من حيز هذا المعنى الى حيز الرؤيا المكشوف على لعبة التأمل وإفراط الوصف ..

في مجموعتها الشعرية الجديدة (بالنقطة الحمراء تحت عينه اليسرى) الصادرة عن دار الغاوون/ بيروت/٢٠١٠ تبدو هذه الكتابة وكأنها رغبة عارمة لاستبطان التوغل العميق في الجسد، الذي يرى بنقطته الحمراء، الجسد الذي يتسع للاحتواء والاعتراف والتجاوز، مثلما يتسع للطرد والخطيئة، اذ تلتقط منال الشيخ عبر شفرته الضيقة المشغولة (ما يبدو تحت عينه اليسرى) كل ما يجول في عوالمها من صخب حسي، تفتح له مساحات بوح شاسعة، تقف عنده مبلولة ومدفوعة للمزيد من الاعتراف، مأخوذة بما يتلاحق أمامها من اندفاعات شرهة للتخيل عبر ما يتبدى فيه من الاستعادة، والتشهي عبر ما يدفعها لانتهاك كينونته.

هذا التلاحق الاستعادي، استعادة الجسد عبر الصورة اللغوية، تتبعه استعدادات ثانوية، تلك التي تبدو وكأنها لعبة الشاعرة بامتياز، اذ

تلامس فيها هواجسها، مسكوتها العميق.

بوجههِ المُثلّثي الصغير
بخطوطِ جبينهِ الأربعة
المُتعرّجةِ
كأنها أمواج بحرٍ هاربٍ من تعاليمِ أب
بالنقطةِ الحمراء تحت عينهِ اليُسرى
بالشفاهِ التي بلّلها السكوت

نقرأ قصائد منال الشيخ فنتعرف على احتداماتها العميقة،ونتوه مع طراوة لغتها المسكونة بالتشهي والتفجع الى لحظات حميمة سخية في تدفقها. ففي قصائدها الأولى تبدو وكأنها تكتب لذتها الغائبة، اللذة الفتشية التي تنحلّ في شفرات غائمة(الجنرال، وجهه المثلثي الصغير، كابتن بلاك) والتي تؤشر بالمقابل عزلتها، عزلة الذات في المنفى والجسد والتسمية، والتي لا تتنكر لها الشاعرة، فهي تستعيدها في أكثر من قصيدة، تتخفف بها أحياناً من التوتر المفتون بالتذكر ورثاء الأشياء المألوفة لكنها المفارقة في آن..

ومن الحُزن ما يكفي لأكونَ قُبلةً فارّة في الزحام
لديّ من الجوع ما يكفي لأُعلنَ حالة الإفلاس العضوي
وأعلّقَ على بابِ خيمتي لافتةً مكتوبٌ عليها:
"هنا الأعضاءُ غير مناسبة للتناول البشري"
لديّ من الأمواج ما يكفي لإغراق سُفنكَ الخارقةِ لقوانينِ الحياء
ومن الدماء ما يكفي لأحيضَ عوضاً عن نساءِ القريةِ لمئة سنةٍ قادمة
ومن العُزلة ما يكفي لأن أُذمَّ دائماً تلكَ الطُرقات على بابِ الجيران

والقصائد الأولى تنشغل أيضاً بتوظيفها البنية الأسطورية في النص المقدس في الكتاب والحديث والرواية (في البدء كان الجنرال) و(في اليوم السابع عندما وضع القلم جانبا واستوى على العرش) و(رواه عابر) مثلما تنشغل بتوظيف المثيولوجيا الشعبية للإيحاء الجنسي في الموروث العراقي (تقتل يهودي كل ليلة) وهذه الوظائفية أسبغت على القصائد نوعا من الطراوة التي تجعل القصائد وكأنها احتفال سري بالجسد، ملامسة خفاياه، أسراره، خطيئاته في الغواية وفي الخروج عن حرائق المكان الى سحر اللغة ومخيالها العصي..

والقصائد الأخرى في المجموعة بدءا من قصيدتها الطويلة(على منصة جسدك المحموم) وانتهاء بقصائدها القصار لا تكتفي بالترجيع وتلمس جيشان مشاعرها إزاء عالم يصيبها بالذهول والنفي والفقدان، بل تندفع باتجاه ما يجعلها أكثر شهوة في التأمل، وبما يمنح قصائدها الكثير من الانفعال والاحتجاج والتمرد دونما اية دعة، لان هذه الكتابة تختزن الكثير من مشاعر التوتر والسخط، وتتوق الى رغبة في القبض على الزمن، مثلما هي الرغبة في إباحة الجسد الحسي والجسد اللغوي الى لحظاته الفارقة، واستعاراته الباذخة..

منال الشيخ تستدعينا في قصائدها الى نوبات عاتية من القراءة، والتماهي مع لذة هاربة لكنها تحوس تحت جلودنا الناتئة بالفضائح والهتافات.

كتب جديدة

تاريخ التربية والتعليم في العراق

مراجعة/ زياد مسعود

التربية والتعليم في أية دولة ومجتمع تشكلان الظاهرتين الأساسيتين في قياس مدى تقدم المجتمع الخاص في تلك الدولة او العكس، وتأتي – لذلك-أهمية الكتب التربوية الخاصة في تلك الدول، وتشكل الكنب الخاصة بعملية تأرخة التجربة التعليمية والتربوية في تلك الدول ضرورة ذات أهمية قصوى لدورها في التاريخ والتقويم .

لذا، يأتي كتاب الأستاذ الدكتور احمد جودة في هذا الشأن باعتباره جهدا طيبا في هذا التوجه الحيوي.

عنوان الكتاب الكامل: (تاريخ التربية والتعليم في العراق وأثره في الجانب السياسي – دراسة تحليلية عن تاريخ التربية والتعليم في العراق ١٥٣٤ -٢٠٠٩)، أما لماذا اختار المؤلف عام ١٥٣٤ مفتتحا فيوضحه المبحث الذي جاء في مفتتح صفحة ٢٨ تحت عنوان (طبيعة التعليم في العهد العثماني وأثره على المجتمع العراقي) وقد وضح ان عام ١٥٣٤ هو عام بدء العهد العثماني الأول في العراق الذي استمر حتى عام ١٦٣٨ حيث اقتصر التعليم فيه على الجوامع والمدارس الدينية وكذلك الأمر في العهد العثماني

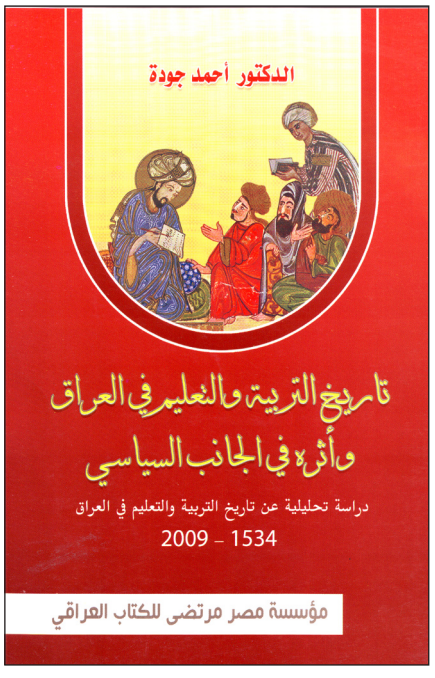

الثاني حتى قدوم مدحت باشا الى العراق سنة ١٨٦٩ فأجرى إصلاحات شاملة في قطاع التربية والتعليم.

كتاب د. جودة كثير التفاصيل والصفحات التاريخية وهو يقسم دراسته الواسعة الى أربعة فصول وتوصيات وملاحق مهمة.

غطى المؤلف في الفصل الأول التعليم بدءا من العهد السومري حتى قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ وقد تابع فيه:

- طبيعة التعليم في العهد العثماني وهو نوع من التعليم الذي نرى في بدايته غلبة المسجد على المدرسة العصرية حتى مجيء مدحت باشا الذي افتتح المدارس الخاصة بالصناعات والمعلمين وسواها، فيما نشطت المدارس اليهودية والتبشيرية وتأسست مدارس البنات، حيث يصل المؤلف بالفصل الى طبيعة التعليم في زمن الاحتلال البريطاني، ونجد أن هذا الفصل الذي تناولته بالبحث اقلام سابقة يشكل تنامي الصراع بين تقليدية التربية والتعليم وعصرية التجديد الذي لابد أن يكون، إضافة لتعرضه الى المدارس اليهودية والمسيحية ومدارس التطوير الجديدة زمن الاحتلال البريطاني.

ويأتي الفصل الثاني تحت عنوان (التطورات التعليمية في العراق ١٩٢١- ١٩٥٨) حيث تناول فيه:

-تطور التربية والتعليم في عهد الملك فيصل.
- دور المدرسين العرب في ترسيخ الفكر القومي لدى العراقيين.
- السياسة التعليمية في عهد ساطع الحصري.
- اثر التربية والتعليم في الفكر السياسي- إصلاح المدارس الصناعية والابتدائية وأثرها على تطور العراق.
- اثر المناهج الدراسية في تكوين شخصية الفرد العراقي.

والأحق أن كل فصل من هذه الفصول يستحق كتابا خاصا وموسعا إضافة الى الربط بين دور المدرسين العرب ودور الحصري الذي كان مصلحا ولكنه لا يهتم بطبيعة المجتمع العراقي المتكون من مذاهب واثنيات، كما أن هناك تداخلا حقيقيا بين عهد فيصل الاول واختيار الحصري الذي لم يكن وحيدا في قيادة مرحلة التأسيس، بل كان مسؤولاً عنه، يسانده تارة ويقف ضد شوفينيته مرة أخرى أمثال الوزراء أبو المحاسن والشبيبي وعبد المهدي.

ياسين النصير: الثقافة في أحد أبعادها هي البحث عن السلوك المشترك بين الناس

إبداعنا الثقافي قادر على تكوين رؤية نقدية أصيلة

حاوره/ عبد العزيز لازم

من (القرنة) حيث تتعانق مياه الفراتين العذبة وتتداخل مع المياه المالحة القادمة من المحيطات العليا، ومن (الشرش) حيث تشد عينا الصياد الحذرة واذناه النشيطتان نفسيهما مع آلته البدائية من اجل صيد للعيال ومن اجل تأكيد مهارة متوارثة. من هناك جاءنا ياسين النصير معباً بأسرار المياه ومسحوراً بالجزر الخرافية التي تختزن سيرة الانسان وكائناته المخبأة في حكايات تتوالد سبعا سبعا في كل حبه يرميها الفلاح على جسد الأديم، عندما تسأله عن سيرته، يختصرها في كلمات معدودة عن المكان، فيقول لك لقد ولدت وعشت في حضن المراكب التي حملت كلكامش في رحلاته الخطرة من أجل عشبة وصفها نبي، فهي ليست كباقي الأعشاب، لأنها تجسد حلم الانسان في الخلود، ليس الخلود المادي المستحيل، بل هو الخلود الذي ترعاه حكمة التراب حيثما بقي على وجه الأرض، لذلك حينما ابتلع الثعبان العشبة النفيسة عاد كلكامش الى شعب اوروك يغني عن العدالة، أما ياسين فلا زال يواصل رحلاته في جسد المكان يستقرؤه ويستنطقه ويستل منه الإجابات الممكنة على أسئلة لا نهائية ولدت معه هناك حيث العدالة المتنقلة من هزيمة الى أخرى، لا يتعب من الاستماع اليك والإجابة على أسئلتك وتستطيع استدراجه الى ما يمليه عليك فضولك الصحفي حتى من مكان راحته، فأنت تعلم مسبقاً بان الرجل قد تسلح بطيبته البصروية المعروفة، فتستغلها ايما استغلال.

*** نحن نعرفك ولكن كيف تقدم سيرتك الحياتية والإبداعية في مجال النقد وغيره بالارتباط بطبيعة عملك الإبداعي والاتجاه الذي عرفتم به؟**

- للشخص سيرتان، واحدة تدل على ما يعمل، وأخرى يخفيها لارتباطها بخصوصية ما، كلتا السيرتين إبداع،بالنسبة للسيرة الأدبية فهي مدونة، أرفقها مع هذه الورقة، أما السيرة الأخرى فلم أبدأ بعد بالكتابة عنها، وهي تلك التي تشكل وجودي الحياتي والمسار الذي صنعته القدم عبر أكثر من ستين عاما، فأنا أبن رجل مزج بين الفلاحة والعمل، تحول لاحقا إلى التجارة ثم أفلس فأورثني عذابات الدين والفاقة، وأنا شخص بدأت منذ الحادية عشرة أقرأ ألف ليلة وليلة،ثم شاءت الصدف أن أشاهدها تمثيلا شعبيا في القرية، فارتبط بالحكاية/ القصة، اكتشفت ذاتي وأنا أشاهد مسرحية فاوست في ثانوية القرنة، ومنذ ذلك الحين وأنا مشدود إلى المسرح/ الحوار، ثم انغمرت بالعمل السياسي/ الثقافي، فكنت واحدا من شباب قرى الشرش في القرنة نتحدث عن حاجات الناس والمطالب وسقوط الاستعمار وحلف بغداد.. هذه السيرة لم تكتب بعد، ولكنها تشكل أرضية السيرة الأدبية.

*** كانت موضوعة المكان قبل ظهور ياسين النصير تفسر تكوينا جامدا،وصلدا،وتابعا،لمجموعة عناصر أخرى تكوّن العمل الإبداعي وقد ارتبط قدريا بالإنسان، لكن تجليات الناقد ياسين النصير قد كشفت عن تفجر مدخر حولته إلى كائن نشط التأثير في الأشياء والإنسان وارتبط بقوة وفق هذه التجليات بالتراكم الميثيولوجي العراقي وغير العراقي، فهل أنت ساحر؟ بمعنى هل أنت سليل الساحر الرافديني الذي ما أن يلامس أصبعه الحجر حتى يتحول إلى كائن حي أو أن ثمة حقائق مستورة لم يلتفت إليها غيرك؟**

- لم يعد المكان بعد اليوم شيئا غامضا،ولكنه عصي على من لا يفهم دوره الحياتي والإبداعي، أعيد مقولة للأنثروبولوجي ليفي شتراوس عن المكان فيصفه بالجغرافيا،ويقول أن" الجغرافيا آخر قلاع المعرفة" ويقصد بـ آخر، أي أنها لم تدخل ميادين الإبداع إلا مؤخراً، الجغرافية فضاء كبير، تعاملت معه حركة التنوير الأوروبية منذ القرن الثامن عشر وسيرت له تكنولوجيا التجارة والأسواق فاكتشفت الشرق وجعلته تابعا لها عسكريا وتجاريا، وكان ضمن حركة تحديث أوروبا في حين أننا أصحبت الجغرافيا في الشرق كائنا جامدا، بالرغم مما نملكه عنها من ثقافة مبكرة، فلم نحولها إلى إبداع ثقافي أو تجاري، عدا أننا أدخلناها في الخيال عن طريق الحكاية- ألرحلات المكتشفين العرب وسفرات ابن ماجد وغير ذلك، في - ألف ليلة وليلة- و فكانت غطاء تجاريا لطرق التجار والارستقراطية العربية وليس بحثا للإنسان.

ملامستي للمكان في السبعينيات كانت حاجة نقدية كي أربط النص بجغرافية محلية، كنت في شوق لأن أقرأ تاريخ النص عبر المكان، فكانت محاولتي بثوب ورؤية ماركسية/ اجتماعية قبل كل شيء، نحن نقاد مهتمون بالإبداع العراقي وكنت أعتقد- ما زال الاعتقاد قائما- أن إبداعنا الثقافي قادر على تكوين رؤية نقدية أصيلة ولكن عليها أن تتغذى بتجارب النقد العالمية وفي كل ميادين المعرفة أيضا، ومن هنا كان كتابي بقسميه "الرواية والمكان" الصادر عام ١٩٨٠ باكورة هذه المزاوجة الفكرية بين: الرؤية الاجتماعية/ الرؤية النقدية.

بعد ذلك كشف المكان عن نفسه، وبدت المحلية تتعمق في النص من دون أن تنغلق، وبدأ الكاتب يسقط عينيه على الأرض بعد أن كانت معلقة في الهواء، وبدأ يشعر أن فوق رأسه سقفا، وأن في السقف كوة ينظر خلالها، بينما تقع تحت قدميه حفرة، وستغلق هذه الحفرة يوما ما عليه جوانبها،المكان سياحة في جسد الأشياء وليس تكوينا بلاستيكيا مقاسا باتجاهات وخطوط، هذا شأن المعماري والهندسة والمصمم، في حين أن المكان يتحول في الأدب إلى طاقة من بحث الخيال في اللغة والأسلوب هذه اللغة التي استهلكتها الأيديولوجية واستعمال السوق لها، المكانية ثورة نقدية في اللغة والرؤية، وعبثا نغض النظر عن كشوف تزداد نموا يوما بعد يوم، من تصوراتنا عن الحداثة، فمن يريد تغيير واقعه عليه أن يبدأ برؤية المكان رؤية إبداعية وليست رؤية نفعية أو وظيفية، عندئذ سيجد لغة جديدة.

للمكان قدرة على جمع المفترقات، ففي حقل المثيولوجيا، والعراق مركز للدائرة المثيولوجية في الشرق الأوسط،يصبح أي مكان فيه نافذة على تاريخ وإنسان وعمل وثقافة الشعوب الشرقية كلها،هذه حقيقة يجب أن نلتفت إليها إن أية مثيولوجية في تركيا وإيران والجزيرة وشمال أفريقيا منذ فترة ما قبل الإسلام وحتى اليوم جذورها من ارض الرافدين، هذا يعني أن لا نزعة قومية أو شوفينية مكانية بقدر ما نوفر في مثل هذه الرؤية أرضية لفهم الإنسان في هذه الدائرة ومركزها العراق، فالمكانية انفتاح على التراث وعلى المستقبل لأنها لا تحمل في أحشائها أية أيديولوجية ضيقة أنها الأرضية الغنية بالممكنات أسلوبا ولغة وتقاليد وتراثاً وحكايات وثقافة.

في مرحلة الحداثة كانت الرؤية للمكان بوصفه وعاءً يمكن تقسيمه إلى فضاء متدرج القيم، العراق فضاء، بينما بغداد أو البصرة أو النجف أو أربيل فهي أمكنة، في حين إن الرؤية الحديثة للمكان حتى ضمن منطق ومنهج الحداثة قد غيرت الكثير من تشكيلاته، يمكن اعتبار بغداد فضاء، ومنطقة الباب الشرقي مكانا، والبتاويين منطقة، والمطعم أو المكتبة موقعا، هذا التوزيع للمكان يسهل عملية التعامل الأدبي معه، يمكن للمبدع أن يكتشف لغة عامة في بغداد بوصفها فضاء ولغة أكثر كثافة في الباب الشرقي بوصفه مكانا، ولغة اشد كثافة في منطقة البتاويين، ولغة أكثر خصوصية في البار أو المقهى أو المطعم أو المكتبة، هنا

بدأنا نفصل من شعرية المكان ونغور في أعماقه وأبعاده فثمة شعرية في كل جزئية منه يمكنها أن تنشئ لنا نصاً جديداً، هذه الكشوف قادتني إلى اكتشاف مفهوم جديد للمكان وهو "الشحنة المكانية" وهو تطور لمعنى أن نبدأ بدراسة المكان والمثيولوجية المضمرة فيه حتى نعرف قيمته ولغته وخصوصية عندما نتعامل معه، ثمة نقطة جديدة قادتني إليها الشحنات المكانية، وهي أن الأشياء التي يحتويها المكان ليس معزولة على لغة وهوية ومثيولوجيا المكان الأشياء أنفسهن لم تعد سلطة لوحدها، بل سلطة فاعلة ضمن مكان فاعل وهناك مديات جديدة لم يتسع المجال ذكرها الآن.

في مرحلة مابعد الحداثة يصبح المكان الواحد أمكنة،ثمة رؤية لتشظي الأمكنة وتجزئتها، وأحداث تغييرات كبيرة فيها، وثمة نغمة نوستالجية تريد إعادة المكان إلى محليته والكشف عن ثقافته الدفينة وعن قدراته الشعبية، وثمة من يربطه باليومي والمألوف والعادي والكوميدي والساخر، هذه الرؤية ما بعد الحداثة للمكان لم تلغ دوره بقدر ما كشفت عن مستويات جديدة فيه، فالمتحف لا يعامل كبناء محتو للآثار، بل يعامل كجزء من التراث الحضاري وان كل قاعة فيه هي مكان خاص وأن كل تمثال أو اثر هو شيء مستقل، فالفضاء أصبح اصغر بينما المكان والمنطقة والموقع قد تشظت وتوزعت وتداخلت فيها قيم وأزمنة واستعمالات جديدة.

*** هل المكان شيء مصنوع؟ ما نسبة دور الإنسان في صنع المكان، أم هو كائن قدري لا بد منه، بمعنى لابد للأشياء من مكان كي تمارس كينونتها ضمن أبعاده؟**

- لا شك أن المكان أسبق من الزمان،بالرغم من أن الزمان هو البعد الرابع له، لأن الزمان هو من فعل الإنسان، ومتى ما وجد التاريخ لأي مكان تجد ثمة إنسان ما كان هناك، لن أتحدث عن النظرية النسبية في هذا المجال،ما يهم – ونحن نشتغل في الحقل الثقافي- يمكن أن يصنع الإنسان أمكنة جديدة،ولكن عليه أن يضمنها رؤية ثقافية جديدة، وغلا ما قيمة المكان من دون مثيولوجي واستعمال بشري سواء صنعة أم وظيفة، ما يزال الإنسان هو الفاعل في الأمكنة، وهو المطور لها، وهو القادر على فهم خصائصها.. أما احتواء المكان للأشياء، فهذه تقع ضمن نظرية الألعاب الكبرى،التي تحدد معنى أن تكون هذه الأشياء وليس تلك ضمن هذا المكان من دون سواه، نظرية الألعاب تشكل اليوم كما يقول زولتان فارجا، ميدانا جديدا في مجال الرياضيات والكومبيوتر والاقتصاد والبيولوجي، والأدب، علاقة الأشياء بالمكان ليست علاقة الحاوي والمحوي، بل هي علاقة تجانس ومفارقة لغوية،في آن معا، تجد لعبة حديثة تتحدث عن عسكرة الفضاء، في مكان لطلبة الصفوف الابتدائية، النزعة الحديثة ترتبط بمثيولوجيا الاتجاه العام لثقافة أواخر القرن العشرين، لكن اللعبة نفسها توفر للطفل رؤية عن شرور العالم أيضا،فهي ليست سلاحاً، بل هي القدرة على فهم مستخدمي الأسلحة في غير موقعها، من هنا يتوجب أن نرفق مع كل شيء شرحا يتناسب ومن يستخدمه؟ وهذا ما نجده منطوقا في كتلوك الشيء.

كتبت مرة موضوعا عن الأشياء التي تتلبس لبوس مستخدميها،ففي الإمكان العامة:المقهى، البار، البيت، تستغل الأشياء غياب الجالسين فتتحاور فيما بينها معيدة الكلام الذي دار وهم يستخدمونها، بالطبع هذه رؤية خيالية لقدرة الأشياء أن تأخذ دور الإنسان، ولكنها جزء من ألعاب المخيلة،خاصة في قصص الأطفال،فنجد أشياء كبيرة تسكن في بيوت صغيرة والعكس، كما نجد قطرة مطر تسقي حقلا، وعصفورا واحدا ينشد لقافلة، هكذا تستطيع المخيلة أن توظف الأشياء للإنسان وأن تفجر فيها قدراتها غير المرئية بالنسبة لأعيننا.

*** الشغل الثقافي والإبداعي العراقي يختزن الكثير من أبعاده وقيم المكان، وامتداداته، باعتبار أن الجغرافيا كانت الحضن الضروري الملائم لنشوء الحضارة (التاريخ)، فهل يشير منظوركم بخصوص المكان إلى أن الجغرافيا هي أم الحضارة، وبالتالي هي أم التاريخ؟ يمتلك العراقي بالتالي الكثير من هذا، فهل أن الثقافة العراقية لا زالت مستعدة موضوعيا للغور في أعماق سحيقة في جسد الحقيقة؟ وكيف يمكن الربط بين هذا كله وحياة الناس؟**

- يرتبط سؤالك هذا بالفلسفة،لم تعد رحلة كلكامش في الجغرافية المنوعة: مدينة-صحراء- غابة- جبال- بحر- مجرد رغبة في الخلود، كما هي محملات نص الملحمة فقط، والتي فهمت كذلك، وهو موضوع يجعل من الجغرافيا كيانا لتثبيت رؤية ووجود الإنسان، بل كانت الرحلة نحو المجهول هي من اجل العودة إلى أوروك التي شاخت ودب القتل والموت والاستبداد فيها، كانت الرحلة بحثا عن خلود للمدينة بوساطة إنسان يحمل صنفي الآلهة والبشر، منها أعتبر ملحمة كلكامش البيان الأول للحداثة في التاريخ، كانت الجغرافيا هي القرطاس الذي كتب عليها حداثته.. كما أعتبر قصة حي بن يقظان،تجربة لفهم دور الطبيعة- الجغرافية- بخصوصياتها البيئية والمناخية لولادة حي في كنفها،هذه رؤية استشراقية اعتمدها الفيلسوف بن سينا وحذا حذوه تلاميذه من بينهم ابن طفيل.

وحتى لا يشط بنا المقام،تعتبر الجغرافيا لغة في النصوص الحديثة،وكان المرحوم الدكتور طه حسين وهو يدرس اللغة العربية في الجامعة يعلق خارطة للشرق العربي،كانت اللغة جغرافيا أيضا، وجغرافيا حية ومولدة.. لا تدرس النحو من دون أن تعرف جغرافيا البصرة والكوفة وبغداد، ولا تعرف القرآن من دون أن تدرس مكة والمدينة، ولا تعرف الإنجيل من دون أن تدرس النيل ومصر والقدس وفلسطين وبابل، وهكذا يصبح للجغرافيا صوت في الإبداع.

بخصوص الثقافة العراقية، خاصة جانبها الإبداعي ما تزال بعيدة عن هذا المخيال المكاني عدا القلة من النصوص وهي غير كافية.. ثمة حقل هائل ينتظر من ينقب فيه وهو المكان العراقي، نحن بحاجة إلى أن ينتبه الكاتب العراقي إلى ثمة وحدة وجودية يوفرها المكان العراقي للإنسان العراقي، الثقافة في أحد أبعادها هي البحث عن السلوك المشترك بين الناس، المكان وليس الوثائق السياسية والأيديولوجية يوفران مثل هذا العمق للكاتب.

قبس من حياة

السياب وما فعل لها!!

■ باسم عبد الحميد حمودي

في حلقة ماضية من هذه الذكريات قلت ان (أهل الأدب) في دار المعلمين العالية قد تشكلت خلال عام ١٩٥٧ بأشراف الدكتور صفاء خلوصي وإدارة الطالب (أيامها وعميد كلية الآداب في الجامعة المستنصرية فيما بعد) حميد الهيتي.

وقلت أن كل ادباء الدار كانوا ينتمون اليها برغم عناد أبداه بعض طلبة قسم اللغة العربية تجاه الطلبة الذين هم من الأقسام الأخرى أمثال: ياسين طه الحافظ –الانكليزي – ومثله صلاح نيازي وعلى جانبيهما كاتب هذه السطور – قسم التاريخ - وقل ذلك عن الطلبة أصغر سنا أمثال فاضل كلو العزاوي –الانكليزي - لكن تفهم خلوصي للموهبة الأدبية التي لا ترتبط بقسم او عمر افشل محاولات هؤلاء الذين لا موهبة لهم سوى موهبة الدرخ، والدرخ لو تعلمون مفيد للذين لا يتقنون سواه فقد صنع منهم مدرسين.. فقط ولم يصنع منهم مدرسين يدركون صفاء رسالتهم التربوية والقدرة فيها على الإبداع في الأداء واكتشاف المواهب ورعايتها.

كان من أصول الحفل الأسبوعي الذي يقام في القاعة الكبرى للدار عصر كل أربعاء أن ينشد الشعراء من الطلبة جديد شعرهم وان تقرأ قصة قصيرة واحدة لأحد الطلبة وأن يقدم احد الطلبة بحثاً قصيراً عن احد الموضوعات التي يشترط ان تكون أدبية صرفة، لا تقرب السياسة ولا أهلها، لضمان استمرار هذا التجمع الثقافي الطلا بي من دون مشاكل مع التحقيقات الجنائية التي هي أيامها دائرة الأمن العامة.. زمن الجمهوريات!!

كان من تقاليد أهل الأدب استضافة شاعر او قاص من الخريجين المعروفين لمشاركة الموهوبين من فرسان الأدب في العالية.

واستضاف (أهل الأدب) الشاعر حسن البياتي والشاعر الأستاذ الدكتور صالح جواد الطعمة والأستاذ الدكتور يوسف عبود وسواهم.. و(مشت) الأمور بهدوء حتى استضافت (الجماعة) الشاعر الكبير بدر شاكر السياب بعد ان أعيد فتح الكليات بعد هدوء الموقف السياسي اثر تظاهرات وإضرابات كبيرة نظمت نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر.

كان يوم السياب عاصفا فقد احتشد مئات الطلبة في القاعة ووقف السياب على المسرح شابا ضئيل الحجم يرتدي معطفاً، ربما ليوحي بطول يريده مع لفافة قديمة يضعها على رقبته الرفيعة، وانطلق السياب عملاقاً تحول ذلك المخلوق المتعب العملاق هادراً جميل الشكل والصوت:

من ايّما رئة
من ايما نار
تنهل اشعاري
كالنار كاللبن المشوي
كالقار

الى آخر نلك القصيدة النارية التي أداها السياب بعذوبة وشجاعة وإحساس مرهف وعرفت في اعماله باسم (بور سعيد) . يومها احتفى الطلبة ببدر في نادي الكلية وكان يوم تعارفي به وحبي له وخصامي معه فيما بعد، وتلك حكاية جرت بعد حين . المهم ان جوا مضطربا قد حدث في العالية، اذ اتصلت التحقيقات بالعميد إبراهيم شوكت مستفهمة، وهدده وزير المعارف هو وصفاء خلوصي، فرفع العميد استقالته للتخلص من ورطة أهل الأدب وتهديدات الوزير، وتراجع الوزير عن صلفه واعتذر للعميد، فقد كان كنّه يخشى استقالة العميد الذي انتخبه كل الأساتذة بعد إقالة العميد السابق من قبل الوزارة السعيدية (وهو الدكتور خالد الهاشمي) بعد توقيعه مع أساتذة الكليات عريضة الى الملك فيصل الثاني حول الأوضاع السياسية.

رأى الوزير ألا تتأزم الأمور واكتفى بغلق (أهل الأدب) والسكوت عن السياب، وعن خلوصي.

هل بإمكاننا أن نتعدى حافة المدارات؟*

علي النجار

ليس من الهين علينا كفنانين تشكيليين عراقيين وعرب الدخول في منافسة الآخر (الأوروبي) المؤسس لذائقة مفصلة على مقاس ارث متحرك ولا يزال ينأى عن الثبات، ونترك كل عاداتنا ومقولاتنا عن الإرث الأثري الذي نفصله على مقاسات باتت عاجزة حتى عن مراجعة مخلفاته بما يناسب ولو جزئيا منطقة الحراك الثقافي المعاصر. ومادام هذا الإرث مقدسا وخاضعا ليمين أفكارنا أو أفكار أناسنا. فمعظمنا خريجو مؤسسات تشكيل الداخل التي نأت بنفسها ومنذ تأسيسها عن متابعة مستجدات التشكيل العالمي ولو كثقافة مرادفة للمنهج التعليمي التلقيني،

وزادت نسبة الخراب في العراق نأيا على امتداد سنوات الحصار وما بعد الحصار، فبالوقت الذي ازداد فيه عدد الأساتذة الدكاترة في كلياتنا الفنية عانت هذه الكليات والمعاهد من خبرة التعليم الفني المهنية وبضمنها التقنيات المستحدثة التي تمهد لفنان المستقبل مجاله الطبيعي ضمن منظومة طرق الإبداع التشكيلية المتشعبة، لقد شكلت شهادة التحصيل الدراسي ومعظمها نظرية الهاجس الأرأس للعديد من تشكيليينا، بالوقت الذي يوسع التشكيلي الأوروبي من دائرة معارفه التقنية من اجل توسيع دائرة اكتشافاته الخاصة وليست المنضدة في دفاتر الأطروحات التي تستعير معارفها من الآخرين.

وجودنا هنا الذي هو عن قصد أو بسبب من نكبات السياسة التي دفعتنا للهجرة أو الفرار على أمل العودة يوما ما بعد ان تنتفي الأسباب، ولم نكن نعلم بان للهجرات أنظمتها العلنية والسرية التي تكبلنا وأجيالنا الجديدة بعاداتها، هذا الوجود ارتهن بإمكانيتنا للتأقلم ثقافيا وحاضن يوهمك لأول مرة بأنه مفتوح على كل الثقافات، وان يكن الأمر كذلك أحيانا نادراً، لكنه عموما يعاينك ضمن مفهوم التقاطع الثقافي لا التجاور ويبحث عن ألغازك التشكيلية ضمن هذا الحيز وعليك ان تقدمها إليه ضمن سوق الأنتيك الاوقيانوسي، لذلك أرجو الانتباه إلى هذا الأمر ليس من ناحية استساغته وتقديم ما يؤمل منا ضمن مساحة أدائه الاستعراضية وليست الفكرية، في زمن فعل مفهوم (الفكرة) نصوصاً وصوراً وأفلاماً وبناءات تلسيقية وتجميعية، وما اصطلحنا على تسميته بالبعد الواحد وتكريسنا للحرف العربي بتنويعات باتت جاهزة لكثرة ما استهلكت، اعتقده ينظر إليه الآخر، كما الإرث الخطي الياباني أو الصيني برغم عراقة صنعتهما، وان اكتفينا بالتزويق وتركنا كل مساحة أداء الأساليب المعاصرة التي ابتكرها زمننا الراهن، فسوف نكون ماضين بامتياز وسوف نظل نشغل حيزا هامشيا اعتقد إننا لا نستسيغه.

نحن هنا كأجيال متشعبة سبلها، لست اقصد بأجيال الهجرة، بل الجيل العمري. جيلنا الستيني بعد ان ودع زمنه الشبابي لا يزال يحن إلى سطوة منجز ذلك الزمن بعد كل الحراك الزمني ومزالق التعلق الجنيني بحياة ثقافية كانت فاعلة وقتها ولم تنتبه لمزالق دروبها إلا مؤخراً.

ومن هذه المزالق الثبات الاستيتيكي الأسلوبي، ما يدلنا على ذلك تصفحنا لسيرة منجز الفنان، وان كانت من حسنة لهذا الجيل فهي تكمن في محاولاتهم البطولية للتنويع على منتج هذا المنجز لكن ليس بعيدا عن خطوطه الأسلوبية أو الثقافية أو المكانية برغم كل الحراك لهذه الخطوط العامة على مدار هذه الأعوام المتتابعة، من تغيير الذائقة إلى تشعب الوسائل والوسائط، وهيام الفنان بتقنية سطح اللوحة أو المنحوتة لا يضاهيه غرام، ربما خشية من فقدان جهد كرسوا حياتهم له، وان كان الأمر مبررا من قبل الفنان حفاظا على سمعة كسبها بكد مستمر، سمعة غلبت هاجس المغامرة وهو الهاجس الأعظم لنوايا اكتشافات الفنان لمجهول هو احد رواده، ولا تزال هذه السمة غالبة حتى لمن هاجر منهم، وان كان ثمة من فروق قد حدثت لنتاج بعضهم، فهي لا تتعدى تأثير الموشور اللوني البيئي الجديد، على قلتهم.

برغم تنوع نتاج الجيل الستيني إلا ان السبعينيين ونتيجة لتأثير تنظير الأصالة التي فجأة وجدت مجالها الضائع لتنافس الحداثة أطروحاتها الزمنية، وبرغم اكتظاظ نتاج أفضل منّظر لها (المرحوم شاكر حسن آل سعيد) بمؤثرات النتاج التشكيلي الحداثي الغربي، إلا ان غالبيتهم لم يستوعبوا مغامرة آل سعيد التشكيلية وأغرتهم تفاصيل منوعة الحرف والأثر الفولكلوري وليس الأثري تفكيكا لمنظومته الإدراكية و الاستيتيكية المتكاملة درسا حضاريا يملك خصائصه الخاصة المرتبطة بوشائج متماسكة والمنظومة الثقافية العامة لتلك العصور، فبالوقت الذي اكتظ النتاج الستيني بتنوع أسلوبي برغم ان كل ما أنتج لا يملك صفة البحث الفني بمستويات متقدمة، إلا ان هذه المساحة باتت متقلصة إلا من بعض التجارب النادرة الموصولة بمصادر دراسة الفنان في أوربا أو أمريكا. ولا يمكن ان يكون الأمر غير ذلك لنأي المنتج التشكيلي العراقي يوماً بعد يوم عن مساحة الحراك التشكيلي المعاصر أو حتى الاحتكاك بمنتجه من قريب أو بعيد، لقد تشكلت قناعات الفنانين بعيداً عن كل ذلك في منطقة حياد لا هي تواصل ما انقطع ولا هي تتطلع لجديد المستقبل، واتسعت رقعة المنتج المحلي المثقل بمحلية رموزه وليست إشاراته المعرفية. وبات اللون زخرفاً نادراً ما يلج منطقة التعبير عن بيئة أخذت تتآكل مقوماتها.

لم يكن بالإمكان تشكل جيل تشكيلي عراقي جديد في زمن مصادرة الجسد للحروب العبثية في الزمن الثمانيني وبات هذا الجيل موصولا بسابقه لكنه معاقاً ومعطلاً وليس بالإمكان من حدوث معجزة وان حدثت فهو أمر استثنائي، من هنا جاءت شكوى هذا الجيل من معوقات منجزه، بالوقت الذي لا يمكننا فيه من فرزه بشكل واضح عما سبقه واعتقد انه وبعد السبعينيات لا يمكننا إلا ان نبت فيه بان مصطلح الأجيال العشرية بات غير ملائم، وعلينا انتظار بزوغ أجيال جديدة تحمل

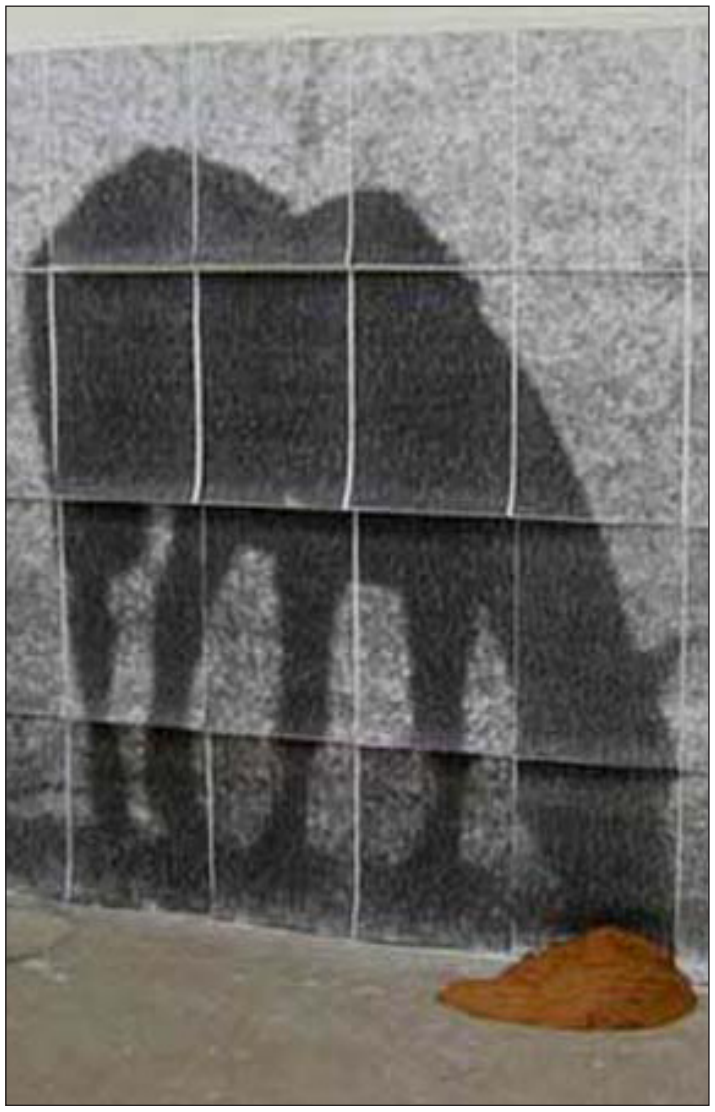

ميزة جدتها، وهو أمر قابل للتكهن. بالتأكيد هناك استثناءات في كل ذلك، لكن كيف لهذه الاستثناءات ان تواصل مشوارها الاستثنائي وتوصله لمدياته المتقدمة من دون توفر شروط تطور منجزها بمحاذاة المنجز العالمي المعاصر وهي قاصرة عن امتلاك أدواته، لذلك نجد الكثير من مهارة الصنعة كمتنفس لهذه الاستثنائية المكبوحة، والصنعة تصنع أعمالا جميلة، لكنها ولوحدها لا تصنع فنا. وما بين الفن والصنعة لوحدها بون شاسع لا يكتفي التزويق لردم هوته.

معضلة تقصي منجز التشكيليين العراقيين تشكل مشكلة مضاعفة بعد ان توزع الفنانون على منطقتين متلاحمتين، ومنفصلتين في الوقت نفسه، منطقة الداخل ومناطق الخارج، متلاحمتين لتشابه المنجز في شقه الأول، ومنفصلتين لمغايرة المنجز في شقه الثاني. وبهذا فمن الممكن ان نشخص جيلين تشكيليين، الأول جيل مغترب تقليدي لا تزال تربطه بنتاج الداخل وشائج قوية، وجيل مغترب مختلف ليس له أية علاقة بتشكيل الداخل، برغم خضوعهما لشروط الغربة الجغرافية إلا ان احدهما فضل التماهي كأسلافه الآخرين ومنجزه العراقي لما قبل الهجرة، والثاني فضل الانسياق وراء هاجس الاستحواذ على معارف تقنية جديدة في محاولة منه لولوج عتبة اغترابه للضفة الأخرى الحاضنة، وآخر ولد أصلا في بلاد الهجرة ولا يهمه مونولوج التشكيل الداخل أو الخارج إلا من باب الفضول والبحث عن جذور تنأى باستمرار.

ويبقى سؤال النقد قاصرا ان لم نتمكن من الإحاطة بهذه الفئات التشكيلية الثلاث، وما يزيد المهمة صعوبة ان جل الجهد النقدي التشكيلي يبقى في حدود الاجتهادات الشخصية، بالوقت الذي يجب ان يتوفر على مؤسسة متمكنة وقادرة على التواصل المعرفي وخيرة هذا نتاج هذا المنجز، لذلك بات على التشكيلي المغترب مهمة التعريف بنتاجه في وسطه الحاضن وتواصلا مع الداخل.

ليس من السهولة ان تصل بعملك التشكيلي إلى مراكز القرار التشكيلي الثقافي ومراكز العروض العالمية، لكن ثمة قضايا سياسية خدمت بعض التشكيليين العراقيين المغتربين، القضية العراقية (الحرب والاغتراب والاندماج) فنانون من الرعيل التشكيلي العراقي الثالث اشتغلوا بأدوات العصر التشكيلية (الفوتوغراف، التنصيب، الجسد، الفيديو ارت، والنص ألمفهومي والجسد) بعد ان تدربوا على وسائطه ووسائله التقنية.

ومن هؤلاء الفنانين المغتربين: محمد عبد اللّه، عادل عابدين، وفاء بلال، جنان العاني، الفاضل، وأسماء أخرى توزعت على خارطة

ليس من السهولة ان تصل بعملك التشكيلي إلى مراكز القرار التشكيلي الثقافي ومراكز العروض العالمية، لكن ثمة قضايا سياسية خدمت بعض التشكيليين العراقيين المغتربين.

أوروبا وأمريكا ووجدت طريقها للعروض التشكيلية العالمية.

وان أشرت إلى جهد هؤلاء وهو جهد في معظمه مستحدث، فليس في الأمر إنقاص لجهد التشكيليين الآخرين من أجيال أخرى اشتغلوا على القضايا نفسها بوسائل تعبيرية تقليدية، بقدر من وصول هذا الجهد لعروض عالمية تأكيدا لحضور عراقي نحن بأحوج ما نكون إليه، إذ لم تعد اللوحة الملونة ولا المنحوتة والمألوفة طرحهما بقابلة على نقل صورة الحدث العراقي (بما ان التشكيل المعاصر معظمه صور وقضايا شخصية وجمعية وبيئة وحدث)، ولنقر هنا بان ليس للصدفة من حظ هنا مثلما للكدح المعرفي التواصلي والاشتغال على دقائق خطوطه التقنية والتسويقية فليس بالأحلام وحدها نستطيع كسر الحواجز، مع العلم ان للحلم أيضا نصيبه من العملية الإبداعية لكنه يبقى جزءاً من شروط تحققها الأخرى، لا تسويقها، ويبقى من كل ذلك مدى قابلية الفكرة على التحقق فنياً، وان أعوزنا تسويق عملنا الفني بشكل شخصي فعلينا ان نجد أو نؤسس مؤسسات راعية وحاضنة توفر لنا ولو فرص التسويق للآخر مجالا تواصليا، ولنا مثل في تجربة شبكة الفنانين المهاجرين في أوروبا (الأيومان)، وقبل الانتقال إلى مشروع هذه الشبكة لنعاين بعضا من تجارب هذا الرعيل الثالث أو من انتسب إليه:

محمد عبد اللّه، ولد في بغداد - العراق عام ١٩٦٥، يقيم في هولندا ودرس الفن فيها وفي دول أوروبية عدة وتخصيصات عدة ولا يزال مولعا في البحث الدراسي. اشتغل على الجسد والنص الافتراضي والفوتوغراف والنحت التنصيبي، تناول عمله السيرة الشخصية ووجهة نظره في الاندماج والثقافة البينية وسيرة الحدث العراقي والإنساني بمفاهيميه لا تخلو من حس شعري برغم جسامة الحدث، وعرض أعماله ونصوصه في أكثر من مكان عرض في العالم. أعتقد ان سيرة هذا الفنان لا تبتعد عن الفعل الوجودي المسترجع بادراكات لمحركات العمل التشكيلي في منطقته المعاصرة، وما يدلنا على ذلك هاجس اكتشاف الذات الفاعلة التي تسكنه ومنذ بداية اكتشافاته التشكيلية (منحوتاته) الأولى.

عادل عابدين: مواليد عام ١٩٧٣، العراق. يقيم ويعمل في هلسنكي، فنلندا، عابدين مولع بالتنصيب وبالفيديو ارت وإمكانيته لتوصيل أفكاره عن البلد الكارثة الذي تركه منذ عام (٢٠٠٠) ولنعاين عناوين بعض أعماله: تجهيزات رحلات بغداد (عن وكالة سفر بتصوير لإعلانات مكتب سفر وصور مزدوجة لأنفجارات بغداد وصور سياحية من أمريكا)، أو عمل الفيديو موقع بناء: ليد طفلة تحرك الحصى في موقع انفجار حديث في بغداد بملعقة بلاستيكية، والتي نصب الحصى أمام العرض للجلوس عليه والمشاهدة بهاجس استعارة الإحساس بالحدث. وأخيرا عمله التهكمي الذي ينظف به مساحة الثلوج الشتوية الطبيعية بماكينة الكنس الكهربائية (وهو الذي يقطن بلد الثلج فنلندا)، وليخلق تصوراته بسخرية مريرة أو خفيفة تفكيكا لأضداد الفعل الإنساني أو الطبيعة غير السوي، لقد أهلته أعماله بمزاجيتها العامة لان يمثل فنلندا في أكثر من عرض عالمي.

لابد من التعريف بشبكة الفنانين التشكيليين المهاجرين في أوروبا (الأيو مان)، التي أسسها الفنان عبد الأمير الخطيب مع أربعة فنانين من هولندا والدنمارك وفنلندا وهم كل من الفنانين حامد الصراف،صباح الحكيم، والروماني زتروم والصينية التي تقيم في فنلندا هونك بتاريخ ١٠/١/١٩٩٧.

وفاء بلال: من مواليد ١٩٦٦، اكتشف قدراته الفنية وطورها بعد لجوئه إلى الولايات المتحدة في عام (١٩٩٢) قادماً من معسكر اللجوء في الجزيرة العربية، والآن هو مدرس في كلية فنون نيويورك، ما يهمنا من وفاء هو مقدرة وسائطه التشكيلية على إيصال الحدث إلى اكبر دائرة ضوء عالمية، وهذا ما فعلته أعماله التي اشتغلها تحت ضغط قسوة الحدث الذي مسه وعائلته وبإحالات إلى مسبباته السياسية، وعمله التنصيبي (أطلق النار علي أنا عراقي) أو بعد إعادة تسميته (توتر داخلي) الذي نفذه بتقنية الانترنيت للتصويب عن بعد بإطلاق الكرات عليه وهو المحتجز في حيز صغير جهزه لحجزه أربعين يوماً، أو عمله الثاني اللعبة الفيديوية (ليلة القبض على بوش) الذي اشتغله بإيحاءات من ردة فعل على مقتل أخيه بيد القوات الأمريكية في العراق، هذان العملان بالذات أكسبتاه شهرة عالمية وشاهدها أناس من (١٣٦) بلداً، إضافة لمشاريع فيدوية لعب فيها على تحريك شخصيات اللوحات الفنية العالمية وصور فوتوغرافية مفاهيمية وتنصيبات مختلفة .. لقد استعمل هذا الفنان الأدوات نفسها التي استعملها عابدين مع توسيعها و باختلافات تقنية، لكن يبدو ان الاختلاف فيما بينهما يكمن أيضاً في المزاج الفني الشخصي والجغرافي الحاضن وطرق التسويق للفكرة، وان كان كل من محمد عبد اللّه وعابدين أكملا جاهزيتهما الفنية في العراق وطورا قابليتها الأدائية وتعدياها لمناطق جديدة في الخارج، فان وفاء لم يستطع دراسة الفن في العراق لكنه استطاع في الولايات المتحدة، أي انه بنى منجزه الفعلي في الخارج، وهو بهذا يصلح لان يكون نموذجا لجيل التشكيل المغترب الجديد.

أخيرا لابد من التعريف بشبكة الفنانين التشكيليين المهاجرين في أوروبا (الأيو مان)، التي أسسها الفنان عبد الأمير الخطيب مع أربعة فنانين من هولندا والدنمارك وفنلندا وهم كل من الفنانين حامد الصراف،صباح الحكيم، والروماني زتروم والصينية التي تقيم في فنلندا هونك بتاريخ ١٠/١/١٩٩٧.

واستطاعت هذه الشبكة بعد خمسة أشهر من إصدار العدد الأول من دوريتها (الأكوان الملونة (١) أن تقيم المعرض الأول في مدينة (توركو) الفنلندية، وبلغ مجمل معارض هذه الشبكة حتى الآن (٢٤) معرضاً بضمنها معارض نوعية عدة، كما أصدرت (٥٠) دورية، وفي عام(٢٠٠٧) تحولت طباعتها من الأسود والأبيض إلى الملون.

ووصل عدد أعضائها من الفنانين إلى (٢١٤) عضوا توزعوا في دول أوروبية عدة (فنلندا، الدنمارك، انكلترا، فرنسا، النمسا، السويد، هولندا، ألمانيا، روسيا، النرويج، جمهورية التشيك، بلجيكا والنمسا) وحسنة (الأيو مان) أنها تحتضن الفنان المهاجر من جميع الدول الأوروبية والعربية والآسيوية واللاتينية في محاولة منها وكمؤسسة تشكيلية ثقافية تضامنية كسر الحواجز ما بين الثقافات معتمدة خطاب الآخر المهاجر كخطاب مجاور لا متقاطع تأكيدا لعولمة الثقافة وكسرا للخطاب الواحد، ولم يكن الأمر تمنيا، بل من خلال طرح مفاهيم وقيم ومواضيع تؤكد خطابها الاندماجي ليس تابعا بل موازيا يحمل سماته الخاصة .. لقد حققت سياستها الثقافية اغلب أهدافها وفي ظروف لم تكن مثالية وكما نعلم كلنا لا تزال تكافح من اجل إدامة عملها، وثقافة (ألما بين) أو (الثقافة الثالثة) هي إحدى أطروحاتها التي عالجتها في معارض نوعية ونصوص منشورة على صفحات مجلتها الأكوان الملونة، وفي منشورات وصحف ومواقع الكترونية وفي نقاشات وحوارات.

وختاماً برغم شحة الدعم، حتى في حدوده الدنيا، استطاعت هذه الشبكة مواصلة مشوارها، بل وطورت تقنيتها الثقافية التواصلية وبنت جسوراً بينها وبين المحيط المجتمعي وبعض من دور العرض في مدن أوروبية عدة، وان كانت شبكة العلاقات مطلوبة في هكذا مشاريع تشكيلية، فان ما يعيق هذه العلاقات في كثير من الأحيان هي النظرة الأحادية لمنجز الأجنبي التي تضعه تحت المجهر مشروعاً قابلاً للمعاينة المغايرة والأقل كفاءة، ووسط كل هذه الهواجس ومعوقاتها الفعلية استطاعت (الأيو مان) ان تجد لها فسحة ما وسط كل الزحمة الثقافية التشكيلية، وان هي حافظت على حيزها هذا فبظل تفاني ونكران ذات كادرها التشكيلي الثقافي والتقني، والشعور بتحقيق كيان تشكيلي ثقافي ربما يتوسع ويزداد خبرة من خلال احتكاكه بالآخر، وهذا الأمر اعتقده هاجسنا المشترك نحن قاطني حافات المدارات.

*** عن محاضرة نظمتها واستضافتها جمعية التشكيليين العراقيين في لندن في قاعة كنيسة (ريفرزكورت) في همرسميث يوم السبت السادس من شباط الجاري.**

القصة والرواية بين عصا موسى .. والحداثة

علي حداد

إن التكامل والكمال في الأعمال الأدبية الفنية مرهون بالموهبة فقط.. وحتى الشعر لم يسلم من هؤلاء فقد خرج الكثير ممن درس وأتقن الصنعة وشروطها كالتفعيلة والوزن والقافية ولكنه لم يخرج علينا بشعر، بل أصبح ناظما له.

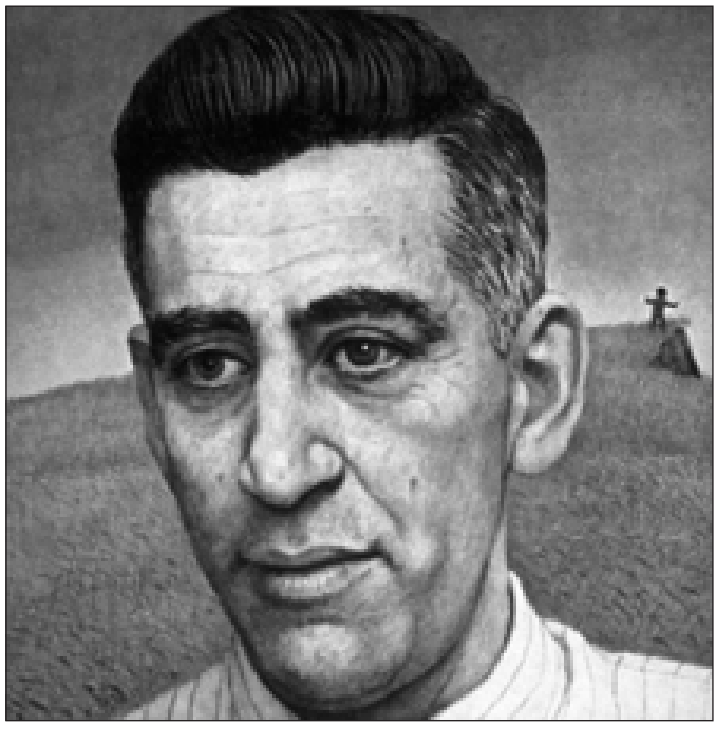

سالنجر

حين تبعد غير المبدعين عن ساحة الوهم التي يعيشون فيها الى الواقع الذي يفتقر إلى وجودهم، فقد أسهمت في حماية القصص.

على افتراض خطير، إن فن القصة سينقرض، أقول إن انقراض هذا اللون الجميل من الفنون الصعبة والمؤثرة في ثقافة الإنسان وتكوينه الفكري.. سيؤدي إلى كارثة تفجع الأدب برمته، وعليه يمكن للواحد منا ان يغوص ولو لمرة واحدة في أعماق نفسه ويتساءل عن السبب الذي دفعني إلى قبول هذا الافتراض المعقول، أقول بأمانة: انه لو استمر هذا الضخ الهائل وهذا الكم المحزن لمزيد من القصص التافهة المنتشرة مثل الذباب على صفحات المجاميع القصصية أو ألروائية أو على وجوه صحفنا اليومية.. والذي ساهم فيه الكثير من الطارئين والدخلاء على هذا الفن الرفيع وهم من أضفى عليه حلتهم الخالية من الفكرة والموضوع والجمال والمتعة اللذان يشكلان العمود الفقري لمقومات القصة الناجحة، وذلك لخلو روحهم وقلوبهم وفكرهم من الموهبة التي مَنَّ اللّه سبحانه وتعالى على بعض من خلقه.. هؤلاء الذين أبدعوا في مجالات الحياة ورفدها بكل ألوان الفنون الرائعة وصنعوا منها شيئاً جميلاً.. حياة جديرة بأن تعيش حتى القاع.

إن هذا الجهد الإنساني المبدع مثل بقية الآداب والفنون الأخرى كالرسم والنحت والموسيقى التي ابتليت أيضا بالطارئين والأميين فالكثير من اللوحات التي شاهدها المثقفون وأنصاف المثقفين جعلهم يقفون حائرين.. أنها حقا تستند إلى نظرية الألوان وتمازجها وانسجامها لكن المشكلة ان لا حياة فيها ولا روح.. وهذا يذكرنا بمايكل أنجلو.. حينما انتهى من تمثال موسى ضربه بقوة وهو يصيح به - انطق.

إن التكامل والكمال في الأعمال الأدبية الفنية مرهون بالموهبة فقط.. وحتى الشعر لم يسلم من هؤلاء فقد خرج الكثير ممن درس وأتقن الصنعة وشروطها كالتفعيلة والوزن والقافية ولكنه لم يخرج علينا بشعر، بل أصبح ناظما له.. لانه كان خاليا من الشاعرية والصورة والخيال والتشبيه،مجرد نظم ملتزم بشروط الشعر.. وقد نكون ملزمين ان نقول ان الكثير من الاعمال الشعرية والقصصية والفنية تفتقر الى الموهبة التي تقوده..

وهذه الأخيرة تصنع من الكلمة ما يسعدنا ويفيدنا ويمتعنا في آن معا، انها تكشف ذواتنا.. وتوقظ الطفل الراقد فينا وترينا انفسنا وذواتنا ووجداننا، وفي القصة والرواية نكتشف الموجود.. انها مثل ضوء رائع يرينا الوجود على حقيقته التي نعرف جزءاً منه.. وهو ذاته الذي يفضح ما فعله هؤلاء الطارؤون الذين كتبوا ومازالوا يكتبون قصصا وروايات خالية من الثيمة او الموضوع .. انك في كل الاحوال لاترى الموهبة ابدا فهناك كتّاب كتبوا روايات كثيرة ممتعة مع انها لا تحمل في طياتها موضوعاً مهماً مثل حارس في حقل الشوفان لسالنجر انها تجربة لطفل فشل في دراسته وخشي من الذهاب الى أهله خوفاً من العقاب هذا هو كل ما في الامر، لكن الموهبة هي التي جعلتك تجري فوق الصفحات بسعادة ونشوة ولا تريد لهذا الجري ان يتوقف أبدا وثمة الكثير من الاعمال يكمن جمالها في السرد الشاعري والحوار القوي المتماسك والمليء بالمفارقات.

وأنا لا أؤمن بما طلعوا علينا به من تقسيمات للقصة او للرواية .. فقد قسموها الى سرد، وحوار ووصف .. هي تعني بالنسبة لي نصاً متكاملاً، اما ان يكون جميلاً او مقرفاً فمن غير المعقول أن أقول كان سرداً جميلاً ولكن حواره كان مخزياً أو أن وصفه كان مذهلا لكن حواره لاح لي ضعيفا.. ان الدخلاء البسوا هذا الفن لباسهم الغارق في الرمز والعتمة.. ولأنهم يجهلون كيف يمسكون بالموضوع ويقودون بالفكرة وهم لا يعرفون كيفية توظيفها بطريقة فنية وممتعه ليوصلونا الى شاطئ المعرفة والبهجة.. وبدلا من ذلك اوقعونا في بئر لا قرارة له فعانى القراء من ظلمة قاعه.. ثم ذهبت جماعة مثلهم من النقاد تساندهم ليخرجوهم من ازمتهم فأطلقوا المزيد من التسميات الاكاديمية العرجاء.. مرة بحجة الرمزية واخرى بالفنتازيا والحداثة...الخ..الخ وهكذا نجد ان المعالجة الخاطئة خلقت اشكالية جديدة وابقت على المشكلة، بل وحافظت عليها حتى كبرت وسمنت، بل وترهلت.. واستفحلت وصارت تشكل تهديدا واضحا للابداع.. والمبدعين، وهي مازالت تؤشر الى طريق مبهم لايفضي بنا الى شيء لانه ضاع بين اللغة المستوردة والمصطلحات الأكاديمية التي تخلو من المعنى والمعرفة مثل طبيب تاه عنه المرض فراح يتشبث بقشة المصطلح الفاسد ليضيع علينا اميته وعدم مقدرته، وبهذا ظل بيت الفرس بعيدا.. آمنا مطمئنا إذ لم يقترب منه أحد، ولهذا أيضاً رحنا نسمع ولسنين طويلة جدا ذرائعهم وحججهم .. كلمات منمقة ومدروسة لأغتيال الادب الجميل.. والممتع، وهي كلمات تصب في الدفاع عن عدم قدرتهم على إنجاب طفل ينبض بالحياة والعافية.. كلماتهم فخمة.. لكنها تطلق في غير مكانها، وقد دوخت القراء وأصابت رؤوسهم بدوار، وكان استمرارهم بهذا الفعل وديمومته هو إستنادهم الى أمية القراء وسذاجة الخبراء في القصة والرواية.. وأمية المسؤولين عن الصفحات الثقافية، أذكر حدثا جديرا بأن يذكر فقد اراد رجل ان يهديه احدهم ويختار بين السياسة والادب فأختار مجلة (الردريزدايجست) وأرسل لها قصة وحين إطلعوا عليها نصحوه ان يمتهن غير الكتابة مهنة له.. هذا ماذكره الرئيس الامريكي هاري ترومان وهو يشكر المجلة على نصيحتها التي جعلت منه رئيساً، وإذا أردنا جانب الصواب فأنه لم تصدمنا قصة.. ولم تهزنا من أكتافنا رواية.. ولم توقفنا للتساؤ ل أو تدعونا الى التفكير لحظة لأنها تغيب عن بالنا لحظة الانتهاء منها، وتتبع هذا أ لمشوار يبشر بأنقراض مخيف.. مثلما حدث للديناصورات، انه إنقراض لشيء حي، هو قتل لكائن حي ..ولهذا مرة أخرى ننتفض جميعا ونقول كلمتنا لأنها بقيت مخنوقة لزمن طويل، ننتفض لأن ملاذ المشكلة ترك آمنا بلاحل.. وقد صرفوا النظر عن عصا موسى لأنهم لا يعرفون ما تعني ضربة الريشة.. ولا يعرفون شيئا عن تلك العصا التي تركوها على الرف لانهم لايعرفون السير بها وكيفية إستخدامها لتفعل فعلها في الناس وتؤثر فيهم.. تهزهم وتهزمهم حتى يتراجعوا أو يتقدموا.. انها المعجزة التي يجب ان يحملها كل عمل ادبي أو فني، المعجزة التي تهز الوجدان.. وتهز كيان المرء بصورها ومعانيها ولغتها ونغمتها وتؤثر في سلوك الإنسان العام.. وكل هذه الفنون هي بالتالي تراث عليه ان يحمل معه معجزته والقصة القصيرة أو القصة.. او الرواية حين تفتقر الى المعجزة.. الى ضربة الريشة القوية، فأنها ستبقى قصة لعينة تافهة لاتقودها موهبة أو دراية أو إبداع أو خلق أنها فقط تحمل معها جواز سفر،جواز مرور يؤكد أنها تسير حسب النظام.. مدخل +معظلة + حل + خاتمة موفقة .. ومن حق الجميع أن يتساءل: هل ان إنتشار الخطأ يفند الصحيح ؟ وهل يمكننا القول ان الكاتب الدخيل يمكنه الوصول الى الصدارة بسبب معرفته بالمسؤولين او بسبب موقعه الوظيفي، ويتميز هؤلاء بأنهم لايستحون أبدا من نتاجهم.. لهذا نسعى الى المسؤولين عن الاقسام الثقافية وخبراء القصة والرواية ونناشدهم بأسم التراث الجيد ان يتوقفوا عن نشر الأعمال التي لاتمتلك في يدها عصا موسى ولاتحمل بين اسطرها المعجزة وأعتقد ان القراء يعرفون ذلك جيدا، لذلك نشأت هوة كبيرة بين النقاد من الدخلاء وبينهم،وكان للأسماء المعروفة شأن كبير في صناعة هذا الواقع الثقافي المؤلم لأنهم باركوه وزفوه الى الناس بطبول وهلاهل.. ويبقى المسؤول الثقافي في الصحف وخبراء الرواية في الدوائر الثقافية الاخرى.. هم الذين يمنحون لهذه الجثة الهامدة صفة الحياة والحيوية.. وبعضهم كان له باع طويل في تحطيم مقولة الادب الرفيع..الحقيقة انني أحس أن هذا الهم أتعبني ويزيده أنني لاأرى بارقة أمل في نهايته لان الاعمال الرديئة مازالت منتشرة وخوفي ان تصبح هي التراث حينها أشعر اننا نساهم في حفر القبر الذي سيضم رفات فاسد وغير معقول.. وفي النهاية أجد أنه ومن باب أولى أن نؤكد ان عصا موسى تحولت لدى المبدع الى ضربة الريشة الاخيرة وإذا خلت يد الفنان من هذه العصا فأن كل ألوان العالم وألواحها وريشها تعجز أن ترسم لنا غير الخرابيش.. والصورة.. والخطوط التي تخلو من الحياة.. من البهجة..من نبض الحياة الجميل الرائع، من نبض الحياة المقدس المذهل، وباعتقادي أن من لايمتلك هذه العصا فعليه أن لا يورط نفسه في مجد زائف وخلود وهمي لايمنحه سوى كأس من شراب في مشرب اتحاد الأدباء.. وعليه ان يتذكر قبل ان يخلد الى نومه ان لعنة الفن الرديء سترافقه حتى قبره.. ذلك انه لم يضف لنا شيئا وأخرى وهي الأهم.. انه قتل الفن الصادق عن سابق عمد وترصد فعلينا إذن واجب ملحمي بان نبعد غير المبدعين عن ساحة الوهم التي يعيشون فيها الى الواقع الذي يفتقر الى وجودهم وحين نفعل ذلك نكون قد أسهمنا في حماية قصص الأمة وتراثها.

وأخيرا نأمل أن نكون بذلك قد أزعجنا الفرس.. لأننا كنا قد اقتربنا من بيته.

الدراما العراقية

غزارة في الإنتاج وضآلة في الجودة

رضا المحمداوي

كيف ينظر ألان إلى الدراما التلفزيونية العراقية بعد ان تعددت قنوات الإنتاج واختلفت التوجهات الفكرية لتك الجهات ووصلت الى حد التقاطع؟ وابرز ملامح تلك التعدد الانتاجي هو تبني القنوات الفضائية العراقية المتعددة والكثيرة ،سواء ماكان يبث منها وينتج داخل العراق! تلك القنوات التي تبث وتنتج خارجه... تبني تلك القنوات المهمة إنتاج الاعمال الدرامية وتحمل نفقات الميزانيات الانتاجية التي تتفاوت في مستوياتها من الضخامة الى التواضع ثم الى الميزانيات الفقيرة! ولابد من الإقرار، هنا، بان تعدد القنوات الفضائية العراقية قد خدم الدراما العراقية بشكل عام، ذلك لأن تلك القنوات، وخاصة المعروفة منها ولها جمهورها الكبير الواسع، سرعان ما استشعرت حاجتها الماسة والضرورية لعنصر الدراما التلفزيونية على شاشتها الفنية فعمدت على انتاج المسلسلات الدرامية، فإننا سنجد أنفسنا أمام حركة إنتاجية أثمرت عن زيادة في عدد المسلسلات الدرامية المنتجة خاصة وان بعض القنوات مثل (السومرية) مثلا عرفت بغزارة وكثرة الاعمال المنتجة من قبلها وهي تعمل في مدار السنة على إنتاج الدراما التلفزيونية متحملة من اجل ذلك اعباء ميزانيات ونفقات إنتاجية ضخمة اذا ماجمعت في نهاية كل عام فستبدو ارقام تلك الميزانيات خيالية قياساً إلى قناة أهلية خاصة ارتبط تمويلها وادارتها باسماء لبنانية في حين مالت قنوات اخرى الى الانتاج الدرامي الموسمي وخاصة في السباق الماراثوني للدراما واقصد به شهر رمضان ومن هذه القنوات (الشرقية) على وجه الخصوص و(العراقية) و(البغدادية) وغيرها من القنوات ولكن بدرجة اقل حضوراً وتاثيراً هذا التعدد في الفضائيات العراقية قاد بالتالي الى تعدد في جهات الانتاج خاصة وان كل قناة من تلك القنوات تعمل بشكل منفرد، ومستقل، وبتوجه آيدولوجي منعزل، وترافق ذلك كله حمى المنافسة والتسابق فيما بينها لأستقطاب الجمهور العريض الواسع الذي عرف عنه المتابعة اليومية للانتاج الدرامي، الا ان هذا المناخ العام – في المحصلة النهائية- اعتبر من عناصر تفعيل الدراما العراقية وزيادة حضورها، وتأكيد وجودها فضلا عن ما يحمله ذلك التعدد والتنوع من تعدد وتنوع في بث وإرسال المضامين السياسية والفكرية والاجتماعية التي غالباً ما تكون محمولة على اجنحة تلك الدراما العابرة للدول والحواجز والممنوعات!

عجلة إنتاج

لقد شكلت القنوات الفضائية العراقية بمجملها منظومة إنتاج كبيرة كان من شأنها أن دفعت بالعملية الانتاجية الى التواصل والاستمرار، وحرّكت عجلة الإنتاج بقوة بعد ان كانت تعاني من ركود وسبات ايام النظام السابق بحكم ارتباطها بجهة إنتاج رسمية واحدة هي دائرة الاذاعة والتلفزيون التابعة لوزارة الإعلام، فضلاً عن توقف شركات الانتاج الخاصة عن الانتاج بسبب ازماتها المالية التي اتت عليها في نهاية المطاف وتركتها مجرد اسم فني من دون رصيد فني حقيقي ولكن:

- ما الحصيلة الإنتاجية الدرامية لتلك المنظومة الكبيرة؟
- وهل هناك مايمكن الاشارة اليه من انتاج متميز او صاحب قضية اجتماعية او سياسية كبيرة؟

وباستثناء اعمال درامية قليلة تعد على اصابع اليد، فان البقية الباقية هي اعمال ضعيفة وركيكة ولا تصمد أمام مشرط النقد طويلاً اذ سرعان ما تتهاوى ويدفع بها الى زوايا النسيان!

خيبة أمل

وإذا كنت قد وصفت غالبية الانتاجات الدرامية بـ (الضعف والركاكة) فان هذا لا يعني إطلاق هذه الصفات على الدراما بشكل عام ومطلق، لان العمل المتميز، وصاحب الحضور الاستثنائي موجود دائما ، لكن الظاهرة التي برزت طوال السنوات التي اعقبت سقوط النظام السابق وظهور القنوات الفضائية هي أن غالبية الأعمال كانت مخيبة للآمال بعد طول انتظار، حيث ان هناك كثرة في انتاج الدراما من قبل القنوات العراقية الا ان نسبة الاعمال الجيدة والمتميزة تبقى ضئيلة.

في المنظار النقدي

احسب ان السبب الرئيس ، ومن منظار نقدي هو (النص الدرامي) نفسه، وما يعانيه من أزمة في قلة الجيد والمتميز والمكتوب بطريقة ناجحة وموفقة وقريبة من نبض المتلقي العراقي الذي يفترض به التجاوب مع ذلك النص؛ خاصة وان كتابا ومؤلفي النصوص الدرامية هم انفسهم منذ سنوات طوال، ولم يدخل الى ساحة التاليف الدرامي من التعدد والكثرة مايغطي ويستجيب لحاجة تلك القنوات من النصوص، ولابد من التذكير، هنا في هذا الصدد، بحقيقة إن ليس كل ما يكتبه هؤلاء المؤلفون الرواد هو جيد بالضرورة، فالتفاوت في مستوى ما مكتوب من قبلهم، وتباين المحصلة النهائية للموضوعات المكتوبة، وطرق صياغتها دراميا يبقى وارداً في عملهم الكتابي؛ واما من تمكن، بهذه الطريقة أو تلك، من الدخول إلى مضمار التأليف الدرامي فانه يؤخذ عليه استعجاله الشهرة واستسهاله عملية التاليف الدرامي نفسها من دون ان يغامر بالتفرغ لكتابة نص درامي جيد بعد طول انتظار.

اللقطة الأخيرة

لقد كان تعدد القنوات الفضائية العراقية سبباً مضافاً آخر لشيوع الأعمال الضعيفة، فكل قناة لها آلية إنتاج تعتمد عليها، وغالباً ما تكون متساهلة، ومتسامحة مع النصوص، حيث يسيطر عنصر المحاباة وتاثير العلاقات الشخصية على حساب المعايير المهنية، وقد تضطر هذه القناة او تلك الى اختيار وانتقاء ماتوفر لديها من خزين النصوص الرديئة والسيئة وتدفع به للإنتاج، فالمهم بالنسبة إليها هو إن يكون هناك انتاج درامي- نتيجة لظروف وضغوط مختلفة – لكن الصورة التي نطالعها على شاشة التلفزيون تبقى صورة بائسة وفقيرة؟!

حروب المتورطين والمتجاوزين على الأراضي الإبداعية

د.هيثم عبد الرزاق

حرب الأكاذيب والفضائح التي تنال المبدعين والناجحين سلاح انثوي ابتكره الفاشلون على مدى التاريخ للتعرض بالرموز الثقافية والإبداعية والعلمية، لان هؤلاء ولتعاسة حظهم وجدوا أنفسهم مندفعين بالصدفة القدرية على ارض غير أرضهم.هذا الخيار مثل خيار (اوديب) المسكين الذي تورط قدريا في المكان الخطأ لا يستطيع الانسحاب ،ولا يستطيع الاستمرار لكن الحكمة الدرامية لا تترك أحداثها ولا أبطالها بلا درس لانها معنية ببناء الإنسان، ولأجل احترام هذا الإنسان ولدت الظاهرة المسرحية، لهذا السبب لم تترك الدراما ارتكاب الخطأ بلا حكمة ولم تترك أبطالها بلا احترام وذلك باعترافهم للخروج ببطولة من حكمة الخطأ .لهذا لم يلغ احترامنا وتقديرنا لبطولة وشجاعة اوديب على تجاوز تورطه (بفقئ عينيه) ومعاقبة نفسه لانه اختار المكان الخطأ في رحلته القدرية لان الدراما الإغريقية لا تستطيع ان تتجاوز أخلاقيات وقيم بناء الإنسان والمجتمع العظيم لأن الإغريق ومن حسن حظهم كانوا غير متورطين بالفاشلين الذين يبتكرون ويتغنون بإخفاء فشلهم حتى على حساب أرقى القيم، الإغريق كانوا غير متورطين بهذا الحجم من اللؤم والفشل، لهذا الذين أتطرق اليهم للأسف غير اوديب ولا يملكون أخلاقياته لأنهم لا يملكون تلك الشجاعة التي تحلى بها اوديب بعدم الخشية من الخطأ فهو لم يتظاهر بعكس فشله وجهله لوضع العصي أمام عجلة الحياة بل اعترف وخرج بحكمة عظيمة للتمييز بين البصر والبصيرة وبين الرؤية والرؤيا، لذا ان أهمية هذه التقنية (الاعتراف بالخطأ وتجاوزه بحكمة) لبناء الحضارات العظيمة والمجتمعات الراقية وتمكين الفرد وتدريبه على هذه التقنية جزء من بنائه واعماره وتنظيم عقله الحضاري والمدني وجزء من تحريره من عبوديته لذاته وللمجتمع.

الثقافة العراقية متورطة بمجموعة كبيرة من المتجاوزين على الأراضي الإبداعية وهذه المجموعة تتضخم يوما بعد يوم مثل ورم سرطاني وخاصة في جسم المسرح العراقي.

لا نريد ان نكون قيمين على الثقافة والمسرح العراقي والإبداع ونقول هذا مبدع وهذا غير مبدع هذه مسؤولية تاريخية.. والتاريخ لا يسمح لأحد ان يشاركه التقييم فهو قاس مثل السيف ولا يكشف قياساته وهندسته الا للذين تختارهم وترشحهم صديقته (الطبيعة) لان الحفر وترك البصمات على جسد التاريخ يحتاج موهبة ثم مهارة ورؤيا ومهنية استثنائية وقدرات حفرية عالية ،وهذه لا تأتي صدفة.

هل هناك احد منا لا يعترف بالموهبة كثروة وطنية؟ هذه الهبة التي تقدمها الطبيعة بلا سؤال او سبب والتي تتحول الى ثروة مستقبلا بالدعم والاحتضان، ثم اذا كانت الطبيعة والتاريخ متفقين على الاختيار والترشيح فالذنب ليس ذنب المبدعين او الموهوبين عن فشل الذين سمحوا لانفسهم التجاوز على ارض الإبداع، بل ذنب التاريخ والطبيعة، إذاً لماذا لا يوجه المتورطون والمتجاوزون على الأراضي الإبداعية غضبهم وانتقامهم لقدرية التاريخ والطبيعة من جهة! ولحماقة اختيارهم من جهة أخرى لضعف شجاعتهم على إعادة قراءة ذواتهم وإمكاناتهم ومواقعهم في خارطة البناء ليكونوا أوفياء لذواتهم ولمجتمعهم!

ان عرقلة حياة المبدعين الذين اكتسبوا تميزهم من الطبيعة والجهد المضني لا تحل مشكلة اختيارهم الخطأ ولا تحل شعورهم بالإحباط والدونية ولا تخفف آلامهم الهاء المبدعين بالمهاترات والتلفيق وتصيد الصغائر.

ان مشكلة هؤلاء تكمن في اختيارهم الطريق الخطأ للتجاوز على أرض غير أرضهم، وهذا هو الذي يدفعهم باللاوعي الى صناعة الأوهام ومحاربة طواحين الهواء وخاصة المختفين منهم خلف بعض أنصاف الصحفيين المغفلين الذين يتحركون بدعم وتوجيه منهم، هذه العمليات لا تخفف للأسف من وجع العبودية والهامشية لسلطة اختيارهم الخطأ حتى لو اشتغلوا مئات من الاعمال او تبوّأوا عشرات المناصب، حيث كما هو واضح لمتابعي تاريخ المسرح العراقي بأن هناك من اشتغلوا وكتبوا عشرات الاعمال ومع ذلك التاريخ لم يتعامل معهم، لأن المسألة غير متعلقة بالاعمال، بل بنوع العمل ولا بالإدارة، بل بكيفية الإدارة وبالتاريخ والطبيعة ونوع الاختيار، والدليل على ذلك ان الحس الغريزي والمعرفي لدى مجموعة كبيرة من المثقفين والكتّاب قادهم في هذه الأيام الأخيرة الى طرح مجموعة كبيرة من التساؤلات والشكوك والحيرة والدهشة من الجوائز الممنوحة على مستوى التقييم المحلي والإقليمي وعلى مستوى اللقاءات في الصحف لان هذه التقييمات تتعارض مع تاريخ وطبيعة هؤلاء، هذه المسألة أثارت كثيراً من المهاترات والضجة في الوسط الفني بحيث شمل حتى الذين ليست لهم علاقة بها.

ومع ذلك يبقى السؤال الجوهري حائرا الذي لا احد يريد ان يلتفت اليه ،لان انشغال المسرحيين بتفشي الورم بدأ يحجب سؤال الوجود المسرحي الأصيل، وهو: هل المسرح العراقي منشغل بإعادة ترميم الثقافة وبناء الإنسان وإعادة تمكينه وتأهيله لاجتياز فجوات الاضطراب والتعامل مع معطيات المستقبل ومؤسساته وتحولاته او لا ؟ او هل ان احدهم اصلا يريد ان يسأل هذا السؤال؟ لا أريد الإجابة، لان الإجابة واضحة على هذا السؤال المسكوت عنه او بالأحرى تم القضاء على هذا السؤال باستبداله بالجانب الوظيفي الرسمي للمسرح وليس بجانب الاعمار لروح الإنسان المليء بفجوات الحروب والآلام والوجع الاجتماعي . المسر ح منشغل بالجانب السياقي والتراتب العشوائي الساذج بسبب المتجاوزين الذين شغلوا المسرح والذين أبعدوه عن هدفه الحقيقي (وهذا هو المطلوب) إضافة الى الجانب التسولي على أبواب المسؤولين الذي قضى على حضور هويته الشخصية المسرحية العراقية ككيان يراهن على البناء والتحدي ويتحمل المسؤولية كمشارك ند وصانع قرار وصاحب رؤيا وموقف لاجتياز التحدي وليس متوسلا سلبيا على الأبواب يدعونه وقت التظاهر والإعلان وعند الحاجة ليدسوا بين يديه ما أكرمهم اللّه من نعمه ليلويه المسرحي رقبته راضيا داعيا لصاحب الكرم الذي لا يميز بينه وبين موظف الإدارة وصانع الإبداع، ولا أريد ان أكون مبالغاً في توقعي السلبي لمستقبل المسرح العراقي بحيث حتى الكومبارس مع احترامي الشديد لمهنته سيطالب بالمستقبل بجائزة الإخراج والتمثيل والإبداع الفني بسبب غياب التقاليد والمكانات.

ان سيادة العلاقات والسياقات والمحسوبيات وصلة القربى تمتلك قدرة إبداعية على تثليم الموهبة والمهنية والعلمية وتؤدي بالنتيجة الى انسحاب المعلمين والموهوبين لانهم لا يستطيعون الإبداع والتورط بالمهاترات في الوقت نفسه لان المهاترات أيضاً تملك قدرة إبداعية على تثليم الموهبة والحياة والتقاليد.

ان المتورطين بالتزوير الإبداعي والتجاوز تتوفر فيهم شروط المهنية العالية لصناعة الأوهام والأكاذيب ولهم القدرة على تقديم اكبر التنازلات وعلى حساب التجاوز على أدق الأخلاقيات والقيم ولهم القدرة حتى على توريط السياسيين والإداريين بهذه اللعبة انها لعنة كومبارسية قلقة غاضبة من الموهبة خائفة من لعنة الشعور بالثانوية ومندفعة بإخفاء التعويض بكل الوسائل (الوسيلة تبرر الغاية) ومستعدة للقفز على الأكتاف والأعناق والرقاب الى المقدمة بالتسقيط والمؤامرة والدسائس والاختفاء والتزلف وتقديم الخدمات الراقية، انها شعور قاس بالعبودية تحركها غريزة الانتقام من السيد الموهوب والمجتهد لشرعنة اللاموهبة بخلط الأوراق بكل الوسائل بلا خجل بالتمسح والتماهي بأصحاب القرار والسيادة وهذه أيضاً ترسيخ وتضييق لدائرة عبوديتهم بعلم منهم او من دون علم، لإخفاء تورطهم وتجاوزهم على ارض غير أرضهم هذه العلاقات وهذا الفساد المؤسساتي هو الذي دفعني الى اختيار مسرحية تحت عنوان (سلطة النص) حيث عرضت هذه المسرحية في السليمانية وهي من إعدادي وإخراجي ومأخوذة عن مسرحية الأقوى (لسترنبيرغ) كجزء من مشروعي المسرحي يتناول لحظة من حياة امرأتين تشتغلان في الإبداع المسرحي أحداهما تمتلك الجمال والموهبة والحيوية والأخرى لا تمتلك هذه المواصفات، لهذا تهيمن عليها سلطة الفشل والجفاف والحرمان والشعور بانها غير مطلوبة فتحاول ان توحي للآخرين بانها مطلوبة ويدفعها هذا التناقض للموت تحت سلطة ونص الحرمان من الموهبة وفعلا تموت البطلة في النهاية لان انشغالها في الدفاع عن فشلها بالثرثرة تقودها الى عبودية تسجن ذاتها ،لان موهبة الآخر اعتقل مصيرها ولكن المشكلة والثيمة الأساسية في هذا العرض لا تنتهي عند هذا الحد، بل تقفز الى انشغال حتى البطلة الموهوبة بآلام وأوجاع البطلة الفاشلة لتشابك سلطة النص مع الوقائع فتعتقل موهبتها وتصاب بالعدوى وهذه العدوى تنتقل الى المشاهدين فتعتقل تدفق الحياة لغياب التقاليد والمعايير هذه المعايير التي تسمي الأشياء بأسمائها وتوزع الأفعال لدفع حركة الحياة الى الأمام من خلال معرفة كل منهم نفسه وتقدير موقعه لان غياب هذه المعايير تدفع بالكثير من الناس الى ان يتعاملوا مع مشاعرهم وأفكارهم بشكل هستيري وبالتالي تتحول الى سلطة تعذب الكل بالتساوي وتسرق السعادة من الحياة، لهذا عندما نشاهد برامج المواهب في القنوات العالمية يأتون الى هذه البرامج آلاف من الموهومين بمواهبهم لكن المقيمين ينصحونهم بتغيير الاختيار لكي لا يتحول هذا الاختيار الى سلوك مرضي لان ذلك سيهدم حياتهم وحياة الآخرين. الاختيار الخاطئ للزمان والمكان الخاطئ سيكون مصدرا للعذاب والعبودية والسخرية .

اننا أمام تحدٍ كبير واقصد هنا أصحاب الموهبة والرؤيا مطالبين بمعالجة زملائنا الذين تجاوزوا واختاروا المكان غير المناسب لإدارة حياتهم ومستقبلهم بإعادة قراءة ذواتهم بشجاعة اوديب ليخرجوا بحكمة مشاركتهم بالحياة من اجل البناء والاعمار وليس الهدم لان الموهبة هبة خارجية والذي لا يملكها لا يتوهم بها لانها تترك أوجاعا وعذابات تلهي كل مؤسسات الحياة وتدفقها نحو الهدف وقد لا تجد موهبتك هنا، بل تجدها في مكان آخر لان البذرة لا تنبت الا في ارض تلائمها و اذا زرعت في ارض غير أرضها تتعفن.

ولنسمي الأسماء بمسمياتها علينا ان نميز بين المتسول السياسي والدبلوماسية الحقيقية، بين التسول الإبداعي والمبدع الحقيقي، بين التسول الإداري والإبداع الإداري، بين التسول الأكاديمي والمكانة الأكاديمية لرسم ستراتيجية حقيقية للبناء والاعمار.

غريم الورد.. الإسقاط والمغايرة

د.يوسف رشيد

تتسم الرؤية المعاصرة للسير التي برع في تأليفها د.عقيل مهدي، بخصوصية ميزتها عن سير السرد التاريخي المألوفة في هذا النوع من النصوص، فهي هنا تكتسي بثوب من الواقعية النقدية والملحمية الشعبية في انفتاح خطابها النقدي على المناخ الاجتماعي والسياسي والفكري الذي تعيشه الشخصية موضع التداول السيري في هذه النصوص.

ولعل نص (علي الوردي وغريمه) هو من هذا النسق المحاور والمستبطن للمكونات الذاتية والبيئية للشخصية اذ سعى الى رصدها فكراً وسمواً في اطار البيئة الاجتماعية التي أحاطت بها.

فمن هنا يعد تصدي (المخرج د. قاسم مؤنس) لهذا النص بمثابة القراءة التحقيقية الخلاقة والأكثر ايغالاً في تشريح الوقائع بمعالجة نقدية اعتمدت إعادة نتاج البنية العلائقية للنص، في منظور جمالي عمد الى الإسقاط والمغايرة من خلال الاستبدال الفني لمنطلقاته، إذ شرع الى اشتقاق أسم (غريم الورد) من الأصل معمقاً لمساحة (الغريم) بما يتناسب وتواجده الواقعي، وكذلك مستبدلاً (الوردي) بـ(الورد) في محاولة لتجريده من الشخصنة بالاستبدال الذي أراد به (الورد) كقيمة دلالية وإيحاء جمعيً بالنقاء – فعلى أساس هذا الاستبدال شيد المخرج عناصر الصراع التي منح من خلالها قوى الشر فضاءً تتوالد فيه لتحقيق قراءته النقدية للواقع المعاش وهذا ما استدعى اللجوء الى حوار (ديالكتيكي) بين خطابي النص وخطاب الإخراج الجماليين، وان يثيرَ كل منهما أسئلةً بشأن الآخر في تغذية عكسية لبلوغ الصورة الإبداعية عندما يكون النص اختياراً للذائقة الإخراجية في قدرتها على تفجير المدلولات وهذا ما دفعه الى (استبدال الأدوات الفنية) كما يسميه (بروب) وان يكون يقظاً ومحتسباً لآليات التلقي فيما تفرضه من علاقات للحضور والغياب و ما ينبغي ان يقوم هو بملئه من الثغرات في خطابه الجديد - بحسب (غادامير).

افترض المخرج صورة النوازع التي كان يصارعها (الورد) في فرضية تنطلق من ان (في الداخل فينا كل منا يحمل ضده)، فصار (مله عليوي) يتشظى ويتوالد في صور الظلم والظلام محققاً الإسقاط الفكري في التعبير عن عدوانية صناع الجلاوزة وصناع الدكتاتوريات وتجار الموت، لتتسع دائرة القراءة في سيرةُ وطن يصطرع فيه الورد مع الشر على مساحة واحدة، شر يتشظى ويتكاثر وورد يصر على البقاء والصعود الى الأعالي بشذاه وعبقه لصناعة حياة أفضل.

فـ(ورد) يدافع عن موروثاته وقيمه التي يحاول الـ(مله عليوي) وتكراراته من المارقين والحثالة من الانقضاض عليها.

ومن خلال (مونتاج) متواز من المشاهد مفعماً بالدلالة والتحميل العالي بالرمز نتبين منه رقي الذات العليا للشخصية من ناحية والقاع المتدني الذي تمثله تلك الحثالة من ناحية أخرى في مجتمعٍ طالما اشتغل (الوردي) على دراسة شخصيته وعني باستقراء سماته وملامحه.

لذا فقد عبر العرض عن هذا الصدام في الإرادات بين عقل متنور وكبير في ثقافته التي تشير الى الخيرً بذاتهً في مقابل وعي الإرهاب والمليشيات الشريرة بذاتها، والمدججة بأدوات التعذيب وأجهزة الصعق الكهربائي – هذه الشخوص التي وصفها النص أنها: (ما هي الا ذوات خاوية ديست كرامتها)، انها تتصدى لكل الأحلام والتأملات السامية وتستخف بالآمال والأغاني والطموحات، وبرغم هذا فأن (الورد) يظل صاعداً في شذاه حاملاً على الجلاوزة المدافعين عن مجد الطغاة وصناع الدكتاتوريات، آخذاً بمجده وتراثه وفكره السامي ليصعد به برغم كل شيء ليبقي على الورد بورديته وتبقى العدوانية بشرورها الرذيلة.

فنخلص الى ان المعالجة الإخراجية قد تمركزت فيها ثلاث مقومات هي الذاكرة والخيال والإدراك وكلها تأسيسات فكرية يمكن التوجه من خلالها لإنشاء الصورة ثم تلقيها على نحو تحليلي – انه خطابُ يستدرج القتامة ليعرضها في فضاء ملون تتماهى فيه ملامح المكان و محتواه، فرائحة المكان التراثي القديم الرطب قد خدمت الإخراج في تحقيق المزاوجة بين سينوغرافيا البيئة الشخصية، وتجريدية متناقضات الوعي الذي توافرت عليه، وفي تحقيق التناغم بين شعريتين لكل منهما إيقاعه الخاص – شعرية المكان وشعرية الشخصية (قبل الافتراضية).

لذا فقد لجأ المخرج الى قصدية التشكيل الحركي التي كانت غالبا ما تتخلى فيها الحركة عن هدفها بمجرد إرسالها كصورة، وعليه فمن أجل تحقيق التواصل مع الموضوع البصري كان لابد ان تؤسس لحركة لاحقة – فالحركة ضمن اطار الهدف وكما هو معروف تمتلك – طاقة وقوة واتجاه- لذلك فقد عمد المخرج الى خلق (استقرارات) لتكون هي المثابات للبنية الحركية اللاحقة رغم ان بعض الحركات افتقرت لانسيابيتها وأبرزت قصديتها الجمالية، حيث ساهمت مستويات العرض السينوغرافية في خلق ميزانسينات متنوعة اذ بلغ التوزيع الجمالي ذروته في تحقيق الإحالة بمشهد الرقص الذي كان متناسقاً جمالياً .

أخيراً على مستوى التمثيل فأن (خالد احمد مصطفى)الذي عهدناه ممثلاً مجتهداً كان قد لعب دور (الغريم) في العرض السابق وقد أبدع هنا بالمغايرة في دور (الورد) جسداً وإحساساً، ممسكاً بروح الشخصية وشعريتها مما أعطى الشابين (عمار وعبد الرحمن) زخماً من الثقه ليؤديا دور النوازع التي يصارعها وتكراراتها في الشرور التي تواجهه من خلال (الغريم) اذ قدما جهداً يستحق التقدير بينما ساهمت الموسيقى والمؤثرات في ترصين البنية الإيقاعية وتحقيق الوظيفة الساندة للعرض في التعبير والإيحاء.

* العرض في منتدى المسرح بتاريخ ٢٠١٠/١/٢٧

الممثل

الى ..ممثل
" انا اعي تماما ما تفعله على الخشبة"
المتلقي

كتابة : اطياف رشيد

-١-

تدور في فضائك، في فضاء هو لك لا يتسع الا لك وحدك، يتسع فقط لتعددك و اختلافاتك، للرومانسية او للغضب. تبكيني حينا وتضحكني حينا اخر وتهيج مشاعر مختلفه. تلون الفضاء بالعاطفة التي تريد، تلون الاثر في نفسي بالشكل الذي تريد. لكنك في كل ذلك لست انت وانا في كل ذلك واحد، غني بغيرك فانت لست انت، غني بما هو معروف لك وحدك.

-٢-

ماذا تريد؟

هل تحفظ كل تلك الصفحات الطويلة وتتمرن اياما اطول وتبني شبكة ملغزة من العلاقات في انسجام نسقي عقلاني وتحمل نفسك ثقل مشاعر غريبة عنك، وتجاهد في منحها مصداقية؟ أكل ذلك من اجل ان تؤثر فيّ وتقنعني بحسن صنيعك؟ للتصفيق في النهاية ربما.

هل اكتفي منك بالحكاية وعبرتها؟ هل اكتفي منك بحركاتك الرشيقة وهي تجسد نبلك في محاولتك سرقة انتباهي لتثبت نظرتك في الحياة وتبتزني بتلك الرشاقة لتقنعني بكل ما تريد فأقول (نعم هي الحياة مثلما تقول).

الصورة اوضح الان..

انا اجلس على كرسي ثابت وامامي منصة ثابتة ،يتحرك فيها كون كبير متنوع تبدأ حياة ثانية لي عندما يبدأ ويتنامى ايقاعها وصولا الى لحظة الختام ،في تلك اللحظة فقط اتنفس واعود الى نفسي.

الصورة اوضح الان

ان سيرورة التجربة التي تجسدها مع مجمل العلاقات والعناصر الاخرى ستمر اليّ عبر بوابات بصرية وسمعية، ومن الايهام المطلق الى الجدلية المعرفية ،مما يسمح لي بان اخلع صفة التوقع على العلاقات ذات الطبيعة الجاهزة الى مديات غير منتظرة وعلاقات غير متوقعة ليرتفع الوهمي من الآني الى فعل يستفز الاتي بنبوءات الجدل والمعرفة والجمال .

-٣-

اعترف لك

انك تزيل عن روحي طبقات من غبار الجمود وفي كل مرة تزداد روحي صفاءا. تحملني على الصمت لتتجادل في راسي الصور ذلك لأنك تفيض عوالم متداخلة ،مختلفة ومؤتلفة، تجعلني ادخل عالمك المزيف، تخدعني وتوهمني بالحقيقة لأصدق كل ما تقول وتفعل. لكني لن امنحك الفرصة لاستغلالي حين اخرج من قاعة العرض سوف القي بكل ما رأيت وسمعت خارج روحي وذهني وسوف اصعد سيارة الأجرة وأواصل التحديق من زجاج نافذتها ،وقد يكون غير نظيف ومتشح ببقايا من مطر الليلة ألماضيه، احدق الى الناس والشوارع والمحلات .لكنك سوف تباغتني وتطل كساحر.

-٤-

مثل مغامرة روحية مقدسة اجدني استذكر دفق حضورك على الخشبة. اذن انت حي بكل ما ليس لك وحقيقي جدا .لهذا السبب فاني عندما اتحدث الى الأصدقاء عن بعض الأمور الصغيرة أجدني امسرحها وامنحها بعدا فلسفيا اعمق بكثير مما كانت ،وارى الأصدقاء كأنهم اقرب من ذي قبل لذلك تخيفني ملامحهم المتضخمة ،واهتزاز الأوتار الصوتية المدوي .تفاصيل معراة مبالغ فيها ، هل هذا هو جوهر عملك على المنصة ؟ ادرك ان هناك تحولا ما ،تحول في وجودي وكينونتي من متلقٍ للحياة الى ممارس لها (بكسر الراء).

-٥-

كل شئ ينسجم في صورة كلية .صورة تشمل كل العناصر المهملة في الحياة اليومية ،الضوء صخب المارة ، ضحكة طفل صغير ،موسيقى ،اغنية سمعتها عشرات المرات في الحافلة ،وكل الحكايات التي اعرفها الشكسبيريات البليغة والملاحم اللاهية والبطولات ،الواقعي واللامعقول ، وشهرزاد في الف قراءة وقراءة، كلكامش وعشبته ،منيف في شرقه والكرستال في عزلته ،والكثير الكثير ، كل شئ يتم استغلاله لينسجم مع حركة ذلك الرشيق على الخشبة ،رشيق الروح والجسد،لتكون لحظة يتحد فيها الزماني بالمكاني والمادي بالروحي والصامت بالصائت ،لأقول ببساطة كم كانت صورا جميلة تلك التي جسدتها .هي متعة مطلقة ..او لعبة مبهجه نلعبها وفق شروط اللعبة التي نعرفها نحن الاثنين في ضبط وعكس ،في مهمة يكون احتمال الفشل فيها وارد لكن الاحتمال هذا هو صفحة واحدة من مئة صفحة جمال.

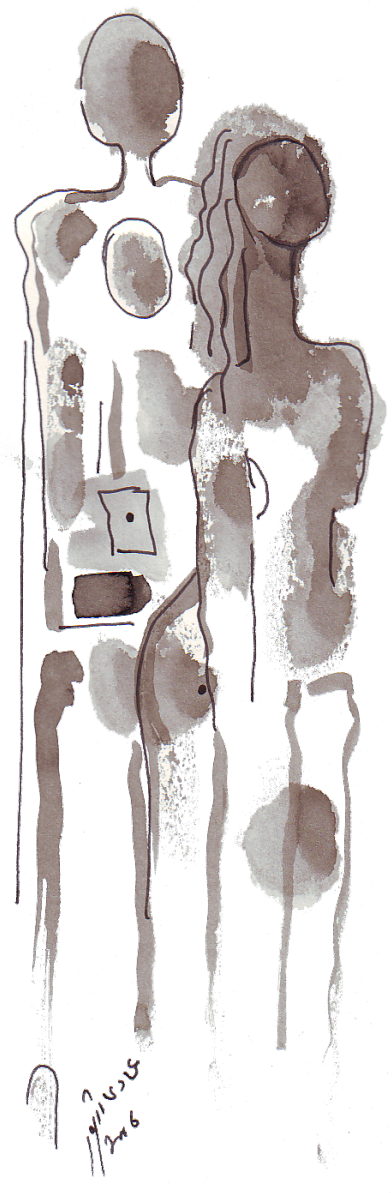

دردشـــــــــــــة..

ثقافة القانون وعمود النور العراقي !

■ يوسف ابو الفوز

ربما سيعتبر المحرر الثقافي اني بدأت اتناسى ملاحظاته وتنبيهاته بضرورة الاهتمام بالهم الثقافي في هذا العمود، وترك الشؤون السياسية للصفحات الخاصة بها، لكني ـ عزيزي القارئ ـ لا استطيع السكوت عما اراه لهذا الانتهاك المستمر للقانون ونظام الانتخابات، ومن قبل سياسيين يعتبرون أنفسهم النخبة المثقفة والمتعلمة في هذا البلد، والمفروض ان يكونوا هم الامناء على مسيرته الديمقراطية وتطورها، وبالذات في ما يتعلق بالقانون ونشر ثقافة القانون، لقد تعلمنا من تجارب الشعوب المتقدمة والمتحضرة بأن الالتزام بالقانون، الذي هو مجموعة قواعد تنظم العلاقات بين أطراف معنوية وطبيعية وتجيز وتحدد حدود العلاقات والحقوق بين الناس والمنظمات، والعلاقة التبادلية بين الفرد والدولة، يجب ان ينطلق من حاجة الإنسان للنظام واحترام حقوق الآخرين، حيث لا يشترط وجود شرطي او مراقب ليكون حافزا للالتزام بالنظام والقانون، فالامر يجب ان يكون ممارسة ذاتية تنطلق عن قناعة، وان رجالات ـ ونساء! ـ الدولة والمجتمع هم المعنيون بدرجة أساسية في ان يكونوا المثل الصالح للأجيال القادمة والقدوة الطيبة في احترام القانون والحرص على تطبيقه، وثمة العشرات من الحكايات عن سياسيين في البلدان الديمقراطية المتحضرة فقدوا بريقهم السياسي ومواقعهم الرسمية والحزبية بسبب من خرقهم لقوانين بلادهم فعوقبوا بدون تردد، ولنذّكر ـ عزيزي القارئ ـ هنا بواحدة من هذه الحكايات، اذ ان لها علاقة بالشأن العراقي، الا وهي قضية رئيسة الوزراء الفنلندية السيدة "أنيلي ياتينماكي "، زعيمة حزب الوسط الفنلندي، التي لم تهنأ بفوزها عام ٢٠٠٣ سوى شهور عدة، اذ أزيحت من موقعها وفق قوانين البلاد، لانه ثبت حصولها على وثائق رسمية سرية بشكل غير قانوني، سميت يومها بـ (الورقة العراقية)، تتعلق بالوعود التي قدمها منافسها الزعيم الاشتراكي الديمقراطي للرئيس الأمريكي جورج بوش بضمان مساندة فنلندا للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وأيضا حملتهم العسكرية على العراق، مما يعتبر مخالفا لسياسة فنلندا الخارجية السلمية، واستثمرت زعيمة الوسط هذه المعلومات والوثائق في الحملة الانتخابية ضد منافسها مما أضر كثيرا بمواقفه وبالتالي نتائج الانتخابات وكان سببا لفوزها وحزبها! الطريف جدا ان حزبها أزاحها من رئاسته فورا لنفس الأسباب برغم ان سلوكها كان سببا لوصوله الى سدة الحكم، فالقانون كان هو الأساس ولم يتشفع لها أحد ! ان ما نلمسه ونشاهده هذه الأيام، ونحن نعايش عملية انطلاق الحملة الانتخابية للانتخابات البرلمانية في بلادنا، يشير الى حجم معاناة وحاجة شعبنا العراقي الى الثقافة القانونية، فما نراه ونلمسه الان ما هو الا نوع من فوضى القانون، والمؤسف ـ عزيزي القارئ ـ أن البعض ممن ينادون بالقانون، تجدهم في اول صف الخارقين له، انظر أخبار الغرامات التي نالها العديد من القوائم الانتخابية من المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق قبل بدء الحملة الانتخابية، وافحص أسماء قادة هذه القوائم، وراجع تصريحاتهم السابقة والجديدة واحسب فيها كلمات وعبارات القانون التي اعتادوا على ترديدها؟ والأكثر ألماً من كل هذا، هو ان العمل والتعامل الجاري مع القانون من قبل غالبية السياسيين العراقيين، يأتي وفقا للمثل الفرنسي القائل: "لا يمكن القفز فوق عمود النور، ولكن يمكن الالتفاف حوله"، فسياسيونا ـ للأسف! ـ يتفننون في الالتفاف على القانون وإيجاد الثغرات والحيل لتجاوزه، فما دامت قوانين الانتخابات حددت موعدا رسميا لانطلاق الحملة الانتخابية وتعاقب ـ وعاقبت ـ من يخرق ذلك، فلم لا يتم نشر الصور وبالإحجام الكبيرة لهذا المرشح وذاك ومن دون الإشارة الى رقم قائمته، باعتبار ان ذلك لا يسجل خرقاً لقوانين مفوضية الانتخابات بشأن أصول ونظام الحملة الانتخابية؟! ولم لا يستغل كون المرشح الفلاني ذا منصب ما في الدولة لتبدو صوره وكأنها عن مسؤوليات حكومية وأداء مهام رسمية، وأنها اداء ودعاية للدولة ؟! وبرغم ان البعض ـ وعلى استحياء ـ انتقد ذلك وطلب من مناصريه ـ هكذا ! ـ رفع صوره من الشوارع، الا أنك تجد ـ عزيزي القارئ ـ وباعتبار القانون أيضاً ـ حسب احد تعريفاته ـ فن، فأن العديد من الساسة والمسؤولين في الدولة راحوا يراجعون البومات صورهم ويستخرجون المناسب منها، وبمساعدة خبراء صورة ـ ونصف خبراء ـ يضيفون تفصيلا هنا وحذف تفصيل من هناك، ورأينا وقبل انطلاق الحملة الانتخابية قانونيا صور العديد من الشخصيات السياسية، وهم مرشحون على قوائم معروفة، في لقطات بمختلف الوضعيات والبوزات تجمهم مع المرضى والمعوقين والرياضيين وفي علاوي المخضر والمستشفيات ومع الجنود والرياضيين و... ولا اعرف لمَ ان حدة التنافس لم تجعل احدهم "يتفنن" ويطلق لنا صوره وهو في سرير النوم، مترحما على القانون أو.....!

سنلتقي.

haddad.yousif@yahoo.com

تداعيات رجل محترف

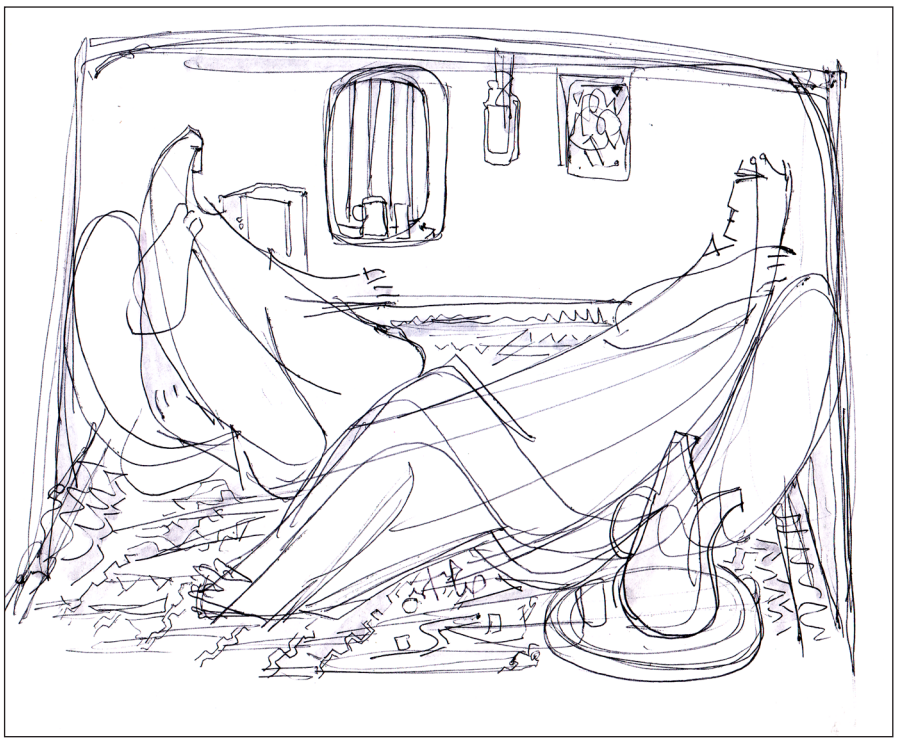

عامر القيسي

أنا وأمي

قالت له أمه ذات ليلة من ليالي سكره الذي لا حدود له:

- لقد خلقك اللّه للفرجة؟

كان يبتلع قناعات امه ويمضي في فرجته على عالم متخم بالغرائب، قطته المسكينة تنتظر إطلالته المتأخرة دائما ، يطعمها طعام المساكين ويسقيها بكأس خمرته البائتة ويضمها الى صدره يدوخها بأنفاسه وهي تموء وتلاعب شعر صدره الكثيف حتى مطلع الفجر.

هي وأنا

بتنورتها البنفسجة كانت تخوض في تهاديات أمـواج المتوسط تنعكس اشعة الشمس بين ساقيها فتبدو له امـرأة من برق ، رشّها مرّتين فاندلقت القطرات بين فتحتي الأزمـة، على الموج مشت.. وحلقت تنفض تنورتها بقايا قطرات الموج الهادئ ..مدّ ذراعيه وتغربل بجسده النحيل وخيالاته في الماء وصرخ:

- يا انت..

ضاعت في أسرار البحر صرخاته وتهويماته وذاكـرتـه وظـل يتفرج عليها تندفع في المجهول!

أنا وأنا

انا من ضيع في الأوهـام عمره ، استوعب ضياعه وأضـاف اليه، سألقي بنفسي في مهاوي الـردى، وتمدد في مساحة عمره الذي ضيّعه في زمن من سديم، هو وهي والقطة عاشوا زمنا من ذاكرة وحب وانتظار، كان وحيدا وكانت هي والكون والذكريات، وانا مفعم بك أنت التمس انحناءات جسدك وتكوراته وانـت سارية من الـلا معقول وغيره فامنحيني فرصة للتلاقي والالتحام، وآنت من أي كوكب جئت أيتها المبهرة في الجسد والروح والحياة، سأضيع الباقي من عمري.. عمري المضمخ بالحروب والهروب والمفخخات والموت على الطرقات.

- كم مرّة عشت زيادة عن اللزوم؟

ألقت الـسؤال في خرائب روحـه ومضت تتسلق النجوم في ظهيرة قائضة.

أنا وهم

يجيئون فرادا وزرافات من كل حدب وصوب يستبيحون خلوتي وافتتاني يقتلون قطتي وحبي ويسرقون وحدتي وأنا وانتم وهم ونحن، كانت مذبحة للقضايا الملتبسة، وموت واختفاء وتشوّه الآخرين.. انا سأذهب بديلا ناحرا روحـي لالتماساتكم الغبية، فخذوني مشعلا لا يضيء منفردا خائضا في متاهات الروح.

ملايين الأسئلة تنثال دفعة واحـدة فوق رأسه الصغير وتغوص في كرياته الدموية الحمراء والبيضاء طالة برأسها بين حدقتي عينيه.

- من انت ومن هم أيها الغبي؟

أسرار اللوحة

الطريق الى اللوحة كان على الدوام محفوفا بالمخاطر والخوف والاستذكارات الحزينة.. لن تنبثق اللوحة ابدا من بين يديك ايها الشارد في الظلمات، لا الألوان ولا الفضاءات ولا التضادات ولا الأفكار، تلك اللوحة لن تنتهي أبداً، ستبقى فضاءً سرمديا مفتوحا على المجهول.

ألقى باللوحة على الأرض ودفع بقطته كي تعبث بها كما تشاء، لكنها هربت.. القطة هربت من اللوحة ملطخة بالألوان نافرة من الرائحة، واندست في فراشه البارد تفكر في طريقة مثلى للخروج من جحيم هذا المجنون، وماءت القطة ماءت كما لو انها تحتج على صراخاته في الفضاء المفتوح.

- أين هربت أيتها العاهرة؟

في الصباح

كان صباح، وكان حب وكان أنت وأنا وسارية من حب وعشق وجنس فما الطريق اليك ايتها المفعمة بالمتعة والحب والجسد والحرية والانـفـلات، فـأي جسد أنـت وأية حريّة وأي حب، شفتاك المموسقتان بالجاز تنبعث منهما رائحة الشهوة والخيانة.

- أنت لست أفضل من زمني!

يهمس في اذنيها وهو يغوص في منتهيات متعتها ولذتها وصراخها المكتوم، كقطته النائمة، حين تشعر انها تنفض عن جسدها وروحـهـا كل شـيء دفعة واحـدة الـى قاع الجحيم!

فاضل سالم

نـصـف الـسـاعـة الـثـاني

الساعة تجاوزت نصفها الاول ... عقاربها الان في بداية نصفها الثاني أمر طبيعي .. هكذا هو الحال في كل يوم .
اشعر بالرعب كلما نظرت الى الساعة و يتعاظم رعبي كلما وجدت عقاربها في النص الثاني
ليس في ألامرغرابة أن قلت أنا الان فـي نصف عمري الثاني، تماما كالساعة !!في بداية عمري كانت المسافة التي تفصل بين رأسي وقدمي لا تتجاوز الاربعين سنتمتراً أو ربما اقل والان لما دخلت نصف عمري الثاني اشعر ان المسافة بينهما صارت شاسعة مترا وسبعين سنتمتراً (نعم) قد تزداد بمرور الايام أو ربما تتضاءل أو تبقى على ماهو عليه الان
اشعر وكأنني دمية !! مثل تلك الدمى التي اشاهدها في المسارح يحركها كف انسان .. ابتسامة عريضة أو حزن عميق لم تتغير اطلاقا فوجه الدمية واحد لايمكنه الضحك ان كان حزينا كذلك لو حصل العكس .
ماذا تشعر الان ؟
دمية !!
الدمى لا تبتسم !!
الدمى لا تحزن !!
الساعة مازالت في نصفها الثاني كلما تقدمت خطوة كانت أشعة الشمس تضيف عرقا جديدا على عرق ملابسي القديمة الاسفلت يذوب تحت قدميّ وما لرجل في نصف عمره الثاني غير التجوال في الشوارع الملتهبة. لا ادري لماذا ينتابني شعور غريب عندما تدخل الساعة نصفها الثاني اشعر وكأن الشوارع قد سأمت الانسان ليس الان، بل منذ زمن بعيد قد تلقي به في المزابل!

ها!! من جديد إنه الصبي بقدميه العاريتين يقتلع الـشـارع من تحتهما وهو يدخل الفرع المجاور للمقهى حيث وقفت نسوة عند عتبة دار احد البيوت لا اسمع غير الصراخ الذي اعتدت سماعة منذ أن كانت المسافة التي تفصل راسي عن قدمي اربعين سنتمتراً حـرارة الشمس اجبرت الصبي على أن يلوذ بظل والدته أما انا فقد دخلت المقهى الذي إعتدت على إتخاذه محطة استراحة حتى وان كنت فارغا.
كـان جــدارا بشريا يسد علي الطريق , اصوات تتعالى , كلما نفث احد دخان سيجارته تبعه آخر بزفير من دخان , ايقاع صاخب لقرقرة(النارجيلات).
من جديد وبعد ان وضع كتابه جانبا وهـو ينظر الـي من وراء نظارته قائلا:
(لأول مرة)
في حديقة الحيوانات
ولدي يراقب الناس) (١)
حافظت على صمتي لأنـي لم اعرف مايقصده مكتفيا بايماءة لا تعني شيئا لعلها تعني له شيئا من الغباء, لم اتبين المسافة التي تفصل بين رأسه وقدميه الا ان كلامه يدل على انها متوقفة منذ زمن بعيد.
آ...هـذا لايعني علمي بالهندسة لكنها التجربة فعندما جئت لهذه الدنيا كانت المسافة بين راسي وقـدمـي لا تـتـجـاوز الاربـعـيـن سنتمترً صـارت بمرور السنين تتسع وصلت حتى هذه الساعة الى ١٧٠ سنتمتراً قضيت منها ٤٠ سنتمتراً في الجيش وهي نفس قياسات يوم ولادتي!! ٤٠ سنتمترا من الدمار والخوف.
بدأت الكتل البشرية بالذوبان مع ارتفاع درجات الحرارة تاركة ثغرة لمحت من خلالها صاحب المقهى وهو في فورة غضب تزداد كلما حاول احدهم تهدئته .
برغم كـل هـذه الفوضى التي عمت المكان جلس جندي على اريكة غير مكترث بما يحدث، اعلم كم تبلغ المسافة بين قبعته العسكرية وحذائه لاني كنت مثله يوماً ما، الاريكة التي جلس عليها تحول لونها الى لون ترابي بفعل غبار الاتـربـة المتراكم ولعله المكان المفضل لجندي يمط شفتيه مرددا كلمات مبهمه أظن انها (طالعلك يعدوي طالع) وهو يمتع نظره بمشاهدة فيلم (لوليتا) من خلال شاشة التلفاز.
وسخ ! قذر! اهمال ! فوضى ! غير معقول !
صـاح صـاحـب المقهى باعلى صـوتـه وهـو يجر اذن الصانع بينما توسطهما أحـد الزبائن محاولاً اعادة المقهى الى هدوئه المعهود
بـدأت الـقـدور المملوءة بالماء بالفوران مثل صاحب المقهى وراحـت تطلق العنان لبخارها الذي تصاعد مفرقا مستعمرات العناكب التي تنعم بالراحة وسط شباكها الـرمـاديـة عند سقف المقهى (الـقـواري) بـدأت ايضا بعويلها وهي تنفث بخارها على زجاج نافذة المقهى .
فاجأ صاحب المقهى الجميع وراح يصفع الصانع صفعات عنيفة تردد صداها في فضاء المقهى
هنالك عويل تناهى الى سمعي مصدره النسوة والاطفال
دخـل موكب الجنازة الـى الفرع المجاور وكان الجميع من حوله يرسم الحزن عنوة على وجهه
امـا الـصـبـي فـقـد تـجـاهـل كل شئ وقد دفعه فضوله لمعرفة مايحدث داخـل المقهى ضاغطا بوجهه وراحـة يديه على زجاج احدى نوافذ المقهى .
جلست على اريكة قريبة من باب المقهى والـتـي اطلقت صريرا عندما وطأتها
الطاولة التي امامي استقطبت الذباب من كل مكان وهو يتراقص على اثار اقـداح الشاي الدائرية اثارتني المسافة التي لمحتها على عجل المسافة الفاصلة بين راس الصبي وقدميه مسافة رائعة .. بريئة.
مـن الـسـذاجـة الـمـقـارنـة بين المسافة التي تفصل بين رأس الذبابة وقدميها وبين المسافة بين قدم ورأس الانسان , لا اعلم تماما كم يبلغ معدل حياة الذبابة وقد اصدر حكما خاطئا لكني لا اخطئ ابـدا عندما انظر الى أي انسان (ببساطة) لايفهم الانسان مـن حياته شـيء وسـط صـراع الحضارات والصراعات الازلية بين البشر والحروب، الدمار صراع دائري يتعاظم بسرعة فائقة .
اثناء قراءة والدة لوليتا لمذكرات زوجها الـذي كان مغرما بلوليتا ذات المسافة (؟) امتدت يد صاحب المقهى مبددة احلام الجندي وهي تغلق التلفاز.
بأي طريقة اعاقبك .. مهزلة .. قذارة ..كل شئ قذر . اخرج !!
مع هذه الكلمات خرج الصانع وهو يقول:
انتهت المهزلة !!
ايقنت ان شيئا ما سيحدث فكرت بـالـخـروج انـا ايضا بعد انتهاء المهزلة
نظر اليّ من جديد وهو يمسح نظارته بمنديل واضعا كتابه على فخذه وقال
((استسلمت
صف الاسنان هو .. هو الابتسامة لا) (٢)
خرجت في الحال مع ايماءة من رأسي قد تعني شيئا هذه المرة بالنسبة له إلا انها لا تعني لي شيئا.
من جديد خرجت الـى الشوارع الملتهبة حيث جلس الصانع عند عتبة المقهى يلعن حظه ودموعه تتساقط ممزوجة بعرق جبينه
نظرت نحوه فخرجت من فمي كلمات لا ارادية
كـم تبلغ المسافة بين رأسك وقدميك؟
نظر الي بوجه باكي وقال:
انها مهزلة !!
بـدأت الشمس باعطاء الايعاز لـلـعـرق لـلـخـروج مـن مسامات جسمي بعد ان تمتع باستراحة قصيرة
فكرت بطرح السؤال من جديد لكن الصانع ابتسم بوجهي وكأنها كانت جوابا مقنعا.
اول خطوة خطوتها بلغت اربعين سنتمتراً
نظرت الى ساعتي
آ... انها متوقفة عند نصفها الثاني.

---

١ – هـايـكـو –لـورنـس رنكرن
٢-هايكو - هانة هانسن

العدد (1729)السنة السابعة -الاحد (21) شباط 2010

سليمة مراد في بيت المدى للثقافة والفنون

محمود النمر

احتفى بيت المدى للثقافة والفنون في شارع المتنبي يوم الجمعة برائدة الغناء العراقي (سليمة مراد) التي أفنت حياتها في حب هذا الفن وكانت تعمل من اجل أغناء الساحة العراقية بالأغاني البغدادية التي لها طابع المحلة ،وأدار الجلسة الناقد الموسيقي ستار الناصر قائلاً: ان الحديث عن رائدة الغناء العراقي سليمة مراد هو تاريخ يحمل بين ثناياه الكثير من الإسرار الفنية فقد كانت هي احدى اللواتي وضعن اللبنات الأولى لهذا الفن الأصيل، فنانة استطاعت ان ترتكز على أساس قوي الا وهو المقام العراقي إضافة الى انها عارفة بفنون الغناء الجنوبي وحتى الغناء العربي التي استطاعت ان تركز عليه وتغني ذائقتها الجمالية بهذا الصوت ،ستكون فقرات هذه الاحتفالية اولا حديث الناقد كمال لطيف سالم والناقد عادل الهاشمي- وفرقة تراث بغداد- مع الفنانة نهلة عبد الوهاب.

ثم تحدث الناقد كمال لطيف سالم عن أولى الذكريات وبحكم عمله في دائرة الإذاعة والتلفزيون قرابة أربعين عاماً قائلاً: وكنت عاشقا للمطرب ناظم الغزالي والتقيت بسليمة مراد في أواخر أيامها عندما كانت ترقد في مستشفى -فيضي – وهي تعاني سكرات الموت ،وتحدثت معها بصراحة عن الأخبار التي تقول بان لها اصبعا في وفاة الفنان ناظم الغزالي والشكوك التي تدور حولك فقالت: تزوجت ناظم الابن والزوج والاخ وكان زواجا فنيا لا أكثر حيث علمته الأغاني البغدادية وبعض من المقام العراقي ، ان سليمة مراد هي ولادة منطقة -بني سعيد - سليمة عاصرت مشاهير العازفين -صالح الكويتي – يوسف فتو – حسون العواد – وكان هؤلاء هم من الذين يفهمون في اسس المقام العراقي والجالغي البغدادي، وفي بداية حياتها غنت في ملهى الشورجة ،وهي جميلة وذات صوت بديع ومؤثر وسليمة تعتبر من أساتذة البستة – البغدادية – وقد كتب لها صالح الكويتي بعض الأغاني وكذلك عبد الكريم العلاق -كلبك صخر جلمود ماحن عليه – وحينما غنتها على مسرح الهلال عام ١٩٣٢ حينما زارت ام كلثوم بغداد فالتقت مع سليمة واستمعت الى هذه الأغنية.

ويذكر ان ام كلثوم غنت هذه الأغنية على اسطوانة ولكنها فقدت ، وسليمة هي التي غنت الجالغي البغدادي الذي كانت الفرقة المكونة من العازفين اليهود قبل ان يغادروا العراق وهم الرعيل الأول من العازفين ،والظرف في ذلك الوقت لم يخدم سليمة مراد لكون انها يهودية واليهود هم عراقيون عاشوا معنا في محلتي – ابو سيفين –وقنبر علي – وهم كاي طائفة كالصابئة والمسيحيين والازيدية وغيرهم .

بعد ذلك قال الناقد الغنائي عادل الهاشمي عن الفن العراقي الذي كانت بداياته من ذاك التاريخ الذي كان يزخر بتلك الرموز ومنها سليمة مراد التي تمكنت بصوتها لانه نادر المثال قوي يتسع لاكتافين بدرجات الصوتية وانها قادرة على الابحار وقادرة على ان تاتي بجواب الجواب ومقام السيكا وهو يحتاج الى سبع عشرة درجة صوتية وهي درجات قد تعز على اعظم الاصوات الرجالية والنسائية في العراق ولكن سليمة تأتيها بقدرة هائلة في الأداء الفني ولعل الكثير من الملحنين الذين احاطوها وفي المقدمة منهم الملحن الكبير – صالح الكويتي – وقد لحن لها الكثير من الأغاني –هذا مو إنصاف منك – وهو على إيقاع الجورجينا -.

بعد ذلك أدت المطربة نهلة عبد الوهاب بمصاحبة فرقة تراث بغداد أغاني الفنانة القديرة –سليمة مراد – التي اطربت الحضور وهم يرددون الأغاني التراثية الجميلة المفعمة بكل عبق الماضي البهي.

جميع الحقوق محفوظة 2009